سَبِيلُ اللهِ

"قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ
عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي"
صدق الله العظيم

نور الإسلام

بقلم

أحمد حسن أحمد حرحش

اهداءات ٢٠٠٢

أ/ رشاد كامل الكيلانى

القاهرة

سَبِيلُ اللّٰه

"قُلْ هٰذه سَبِيلى أَدْعُو إلى اللّٰه عَلَى بَصِيرةٍ أنَا ومَنِ اتَّبَعَنِي"

صدق الله العظيم

نور الإِســـــلام

بقـلم

أحمد حسن أحمد حرحش

مطبعة الكيلاني

المدير المسئول : رشاد كامل كيلاني

٢٢ شارع عطفة العدة باب الخلق - القاهرة

ت : ٩١٨٥٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة هامة

الحمد لله العليم الحكيم - والصلاة والسلام على سيدنا محمد : خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين . وبعد :

لقد خرجت إلى الدنيا من عالم العدم إلى عالم الوجود ، فوجدت عصراً قد استفحل فيه الداء وعز الدواء ، وقلّ فيه النور وكثر الظلام !..

وجدت الناس فى هذا العصر قد تكالبوا على الدنيا ونبذوا الدين ، إلا قليلا نادراً من الصالحين !..

وفى أيام صِغَرى كنت أسعى لحفظ القرآن الكريم ودراسة هَدْى سيد المرسلين ، وكنت أثناء ذلك أجد ميلا كثيراً لكتاب الله ، وهَدْى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك كنت دائماً أقول :

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ .

وكنت أحاول نصر الإسلام المظلوم ، ولكن شدائد الحياة وتحصيل العلوم والسعى المتواصل لجلب الرزق والغفلةَ الطاغية : كل ذلك حال دون الجهاد الحق ، اللهم إلا جهاداً قليلا كان سعياً لحفظ كتاب الله والاستزادة من هدى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وتوجيه الناس بالمساجد إلى رسالة الإسلام .

وأثناء ذلك كنت أجد الأمم الناهضة القوية ذات الحضارة لم تُذْعِن للإسلام ولم تؤمن به ولم تعترف به ، وأجد الأمم الإسلامية فقيرة ضعيفة مستعمَرة متأخرة بعيدة عن الحضارة متفرقة متخاذلة ! .

وعند ذلك كان يُصَوِّب الشيطان سهامًا إلى قلبى ، فيقول الوسواس الخناس : هل هذه الأمم الناهضة القوية المتحضرة لا تعرف ربها الذى خلقها ورزقها ، ولا تعرف مصيرها ، وهذه الأمم الضعيفة المتأخرة المستعمرة هى التى تعرف ربها الذى خلقها ورزقها ، وهى التى تعرف مصيرها ؟!

ثم أراجع بعد ذلك سريعا وساوس الشيطان .

وأقول فى نفسى : إن رسالة الإسلام تسير مع العقل جنبًا إلى جنب ومع المنطق جنبًا إلى جنب ، وغيرها بعيد عن نور العقل ونور المنطق .

وأقول لنفسى : إن رسالة النبى صلى الله عليه وسلم مؤيدة بالمعجزات فلا شك فيها .

وبعد ذلك ناجيت إله هذا الكون أن يزيد يقينى وأن يدفع عنى سهام الشك ووساوس الشيطان .

وعند ذلك جاءنى فى المنام من يفتح لى بابًا ضيقًا فى مكان شبيه بالقبر ، ثم يَسُوقُنى للدخول منه فلا أستطيع الدخول لضيقه ، فيخبرنى عند ذلك أن عملى المنحرف عن الرسالة هو سبب هذا الضيق !..

ثم تكررت الرؤيا مراراً وتكراراً ، فأدركت أن معنى ذلك : دعوة لى من خالق الكون أن أقبل على كتاب الله وهَدْى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

وفعلا بعد ذلك أقبلت على كتاب الله وهدى رسول الله لزيادة الحفظ وتجويد القرآن وتفسيره .

وبعد ذلك زالت وساوس النفس ووساوس الشيطان ، بعد إدراكى لما تيسر من كتاب الله ، ولما تيسر من هدى رسول الله .

وصدق الله تعالى إذ يقول :

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ .

وعند ذلك ضاعفت الجهاد فى سبيل الله ، شكراً لله على نعم الله .

ثم رأيت في المنام جسمى يطير فوق سطوح المنازل ، وأعلى بقليل من سطوح المنازل ؛ ولكن بدون أجنحة ولا وسيلة للطيران !..

وتكرر هذا المنام مراراً وتكراراً ، فعرضت الرؤيا على بعض الصالحين ؛ ففسروا ذلك بأنه قُرْب لى من الله جل وعلا ، فسررت بذلك سروراً عظيما ، وضاعفت بعد ذلك الجهاد فى سبيل الله ، شكراً لله ، على نعم الله .

وفى ليلة سارّة رأيت فى نومى من يتلو علىّ قول الله تبارك وتعالى :

﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ، فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ .

فقمت من نومى فرحا مسرورا مستبشرا .

وقد ساقتنى هذه الرؤيا لمضاعفة الجهاد فى سبيل الله ، شكرا لله ، على نعم الله .

هذا : وإننى إذ أذكر بعض ما حصل لى ، وبعض ما رأيته فلا أقصد بذلك الظهورَ والفخر ، والعِياذُ بالله من ذلك ، ولكن ذلك من قبيل التحدث بنعم الله جل وعلا ، عملا بقوله تعالى فى سورة الضحى :

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ .

وهاأنذا أحاول نصر الإسلام ورسالة الإسلام ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، حيث أدركت أن الكتب السماوية كلها نزلت بالتوحيد والإسلام ، وأن الرسل جميعاً أرسلوا بالتوحيد والإسلام .. كما أدركت أن جميع الكتب السماوية السابقة على القرآن قد ضيّعها وحرّفها وبدّلها الناس ، وأن جميع الرسالات السماوية السابقة على رسالة خاتم الأنبياء قد ضيعها وحرفها وبدلها الناس ؛ لأنها تتعارض مع أهوائهم وشهواتهم الفاسدة ، وأصبح طريق الحق الوحيد وطريق النور الوحيد فى هذه الأرض ، هو القرآن الكريم ، وهدى خاتم النبيين ، صلى الله عليه وسلم ، وذلك بفضل حفظ الله تبارك وتعالى للقرآن الكريم وللرسالة الأخيرة ، لأن القرآن الكريم آخر كتاب سماوى ، والرسالة آخر رسالة .

فالذى ترحّم وتكرّم وتفضل بحفظ الشمس والقمر والنجوم نورًا فى السماء إلى يوم القيامة ، ترحم وتكرم وتفضل أيضا بحفظ القرآن والرسالة الأخيرة نورًا فى الأرض إلى يوم القيامة .

وقد قال الله تعالى عن ذلك :

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

وقال أيضا : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

وقال جلّ شأنه : ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ، وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ .

وإننى وإن كنت مرابطا للجهاد فى سبيل الله ، ولكن كيف يتمكن ضعيف مثلى من نصر الإسلام وهو بعيد عن الإمارات والإدارات والإذاعات والتليفزيونات ؟

ولكن عزائى فى ذلك قول الله ـ جل وعلا ـ فى سورة البقرة :

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ .

وقوله تعالى فى سورة التوبة :

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ .

وحيث أن الله تعالى لم يحفظ كتابا مقدسا فى الأرض إلا القرآن الكريم ، لأنه آخر كتاب سماوى ، ولم يحفظ رسالة إلا الرسالة الأخيرة لأنها آخر رسالة ، فواجب على الأمة الإسلامية : رجالا ونساء ، صغارا وكبارا أن يَهُبُّوا جميعا لنصرة الإسلام المضيّع فى هذه الأرض ، وتبليغ

الرسالة المضيّعة فى أرجاء الأرض للنـــاس جميعا بلغاتهم ، فى الرحلات والإذاعات والتليفزيونات والصحف والمجلات وغيرها .. وذلك لأن العالم كله أمانة فى أعناق المسلمين ، ورسالة الإســلام الأخيرة عامة لأهل الأرض جميعا ، وقد نسخ الله الرسالات السابقة عليها ، وفرض رسالة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، على أهل الأرض جميعا .

ولـكن ــ ياللأسف ــ والأسف يملأ القـلوب : المسـلمون الذين يعيشون فى الأرض الآن أغلبهم من الجاهلين ، وعلى الدنيا متكالبون ، وعن الدين والحق والجهاد متقاعدون ومضيعون ! . لذلك فهم فى حرب من رب العالمين إلى أن يصبحوا من التائبين ومن المبلغين ومن المجاهدين .

وعلى حضرات العلماء أن يوجهوا حكام المسلمين إلى واجبهم نحو رسالة الإسلام بالحـكمة والموعظة الحسنة واللين والرحمة ، ويكون التوجيه خاصا بهم وليس على ملأ من الناس ، دفعا للفتنة ــ كما أمر بذلك الله ورسوله ، وحتى يـكون هذا التوجيه معذرة إلى الله ، وتـكون الأمة الإسلامية كتلة واحدة كالبنيان المرصوص .

وبالرجوع إلى رسالة الإسلام نجد المســلم الآن أن الإسلام قد تعددت فيه المذاهب ، مع أن الإسلام لا يبيح إلا مذهبا واحدا مستخلصا من كتاب الله وهدى رسول الله ، صلى الله عليه وســلم ، وقد قال عن ذلك فى سورة آل عمران :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ، وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

وبالرجوع إلى الإسلام أيضا نجد أقوالا وآراء متعددة ، ونجد فتاوىٰ جائرة وآراء خاطئة متعارضة ، لا يقف الإنسان على إدراك حقيقتها إلّا بعد التفقه فى الدين .

ولذلك نجد أن كثيرا من المسلمين وغير المسلمين لا يفهمون الإسلام على حقيقته ، فهم يبتدعون فى الإسلام بدعا منكرة ، ويبتعدون عن تعاليم الإسلام ابتعادا كثيرا ، ولهذا ألفت كتابى هذا ، ثمرة لما أفاض الله علىّ من وعى فى رسالة الإسلام ، لعله ينير الطريق للسائرين ، ويرشد بعض الحائرين من المسلمين وغير المسلمين .

ولقد فكرت أن أسميه : « ضالة المسلم » . . . إلا أننى اخترت أن أسميه : « نور الإسلام » .

وسوف أتبعه بكتاب آخر فى الخطب المنبرية ، إن شاء الله .

وأسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعله نورًا فى الأرض ، يهتدى به ، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين ، والبشر أجمعين .

كما أسأله ـ تعالى ـ أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، والحمد لله رب العالمين .

رمضان ١٤٠٠ هـ	المؤلف : أحمد حسن أحمد حرحش
أغسطس ١٩٨٠ م	المعادى — القاهرة

١ — الوجود

قبل ظهور المخلوقات لم يكن فى الوجود إلا الله الواحد المعبود ـ قال تعالى فى سورة الحديد :

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

وقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه البخارى ، رضى الله عنه :

« كَانَ اللهُ ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ ، وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ » .

٢ — المخلوقات

أهم المخلوقات التى خلقها الله جل وعلا ، وورد ذكرها فى كتاب الله وهَدْيِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هى :

١ — العرش : وهو سقف الجنة ٢ — الكرسى وهو محيط بالسماوات والأرض . ٣ — السماوات السبع . ٤ — اللوح المحفوظ فى السماء السابعة ، وفيه القضاء والقدر . ٥ — البيت المعمور فى السماء السابعة لتسبيح الملائكة فيه . ٦ — الجنة . ٧ — النار .

٨ — الملائكة . ٩ — الشمس والقمر والنجوم ، وباقى الكواكب .
١٠ — الأرض . ١١ — الإنس . ١٢ — الجن . ١٣ — الحيوانات .
١٤ — الطيور . ١٥ — النباتات . ١٦ — الفواكه .
١٧ — الجمادات . ١٨ — الليل . ١٩ — النهار . ٢٠ — النور .
٢١ — الظلام . ٢٢ — الربيع والصيف ، والخريف والشتاء .
٢٣ — الرياح . ٢٤ — الماء ، وهو فى (المحيطات والبحار والبحيرات والأنهار والترع والآبار والينابيع والأمطار) .
٢٥ — الأسماك . ٢٦ — الخير والشر . ٢٧ — الإيمان والكفر .
٢٨ — الطاعة والمعصية . ٢٩ — الموت والحياة . ٣٠ — الصحة والمرض . ٣١ — العسر واليسر . ٣٢ — السعادة والشقاوة .
٣٣ — الجبال والصحراوات والوديان . ٣٤ — الارتفاع والانخفاض .

وغير ذلك مما يعلمه الله ولا نعلمه .

قال تعالى فى سورة النحل : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

٣ — أسباب ظهور المخلوقات

أسباب إظهار المخلوقات أن الله تعالى أظهرها لما يأتى :

١ — تعلقها بعلم الله تعالى وإرادته .

٢ — أظهر الله العقلاء لمعرفته وطاعته .

٤ ـ الإنسان قبل وجوده

كان الإنسان قبل وجوده فى عالَم العدم ، وعالَم العدم عالَم فى عِلم الله تعالى ، وكان يتعلق بعلم الله وإرادة الله ظهور هذه المخلوقات . ومنها الإنسان ، فحَكَمَ اللهُ أولا بظهور الإنسان فى القضاء ، ونفذ حكمه وأظهره من عالَم العدم إلى عالَم الوجود فى القدر ، وكان ذلك باختيار الله تعالى ، لا باختيار الإنسان .

قال تعالى فى سورة القصص :

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ . مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ . سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

وقد خلق الله الإنسان ليعرفَ الله ويعبده .

قال تعالى فى سورة الذاريات :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ . إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ .

وقال تعالى فى الحديث القدسى :

﴿ كُنتُ كَنْزًا مَخْفِيًّا . . فَأَرَدْتُ أَنْ أُعْرَفَ . .
فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ . . فَبِي عَرَفُونِى ﴾ .

٥ — المخلوقون العقلاء

المخلوقون العقلاء هم :

١ — الملائكة : خلقهم الله من النور ، ووهبهم عقولا بلا شهوات .

٢ — الإنس : خلقهم الله من الطين ووهبهم عقولا وابتلاهم بالنفوس والشهوات .

٣ — الجن : خلقهم الله من النار ووهبهم عقولا ، وابتلاهم أيضاً بالنفوس والشهوات .

فمن غلب عقلُه على شهواته من الجن والإنس صار أفضلَ عند الله من الملائكة ، ومن غلبت شهواتُه على عقله صار أقل قيمة عند الله من البهائم !..

قال تعالى عن الصالحين من المؤمنين فى سورة البينة :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ .

وقال عن الكافرين :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ، أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ .

٦ ـ المكلفون

المكلفون من المخلوقات هم :

١ — عالم الإنس . ٢ — عالم الجن .

وذلك بسبب أن الله تعالى وهبهم العقول ، وأرسل إليهم الرسل ليعرفوه ويعبدوه .

ولقد ورد حديث النبي صلى الله عليه وسلم :

« أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْعَقْلَ . فَقَالَ لَهُ : أَقْبِلْ . فَأَقْبَلَ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَدْبِرْ . فَأَدْبَرَ .

ثُمَّ قَالَ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْكَ . بِكَ آخُذُ ، وَبِكَ أُثِيبُ ، وَبِكَ أُعَاقِبُ » .

ومن أجل ذلك نادى على هذين العالَمَيْنِ المكلَّفَيْن فى سورة الرحمن بقوله :

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

وقال تعالى فى سورة هود :

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ .

٧ – إظهار الله تعالى للمخلوقات

اختيـارى وليس إجباريًا

لقد خلق الله تعالى المخلوقات بمحض اختياره ، إذ لا يجب على الله شيء ، ولـكنه يفعل الأشياء باختياره .

قال تعالى فى سورة القصص :

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ، سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

٨ – ثمرات العقل فى الإسلام

ثمرات العقل كما حددها الإسلام هى :

١ – معرفة الله تعالى . ٢ – شـكر الله على نعمه .

٣ – السعادة بالجنة . ٤ – إصلاح الدنيا لأنها ، مزرعة للآخرة

فمن نال هذه الثمرات فقد انتفع بالعقل ، ومن لم ينلها فـكأنه لا عقل له ، ولا مواهب له .

ولذلك سوف يقول الـكفار يوم القيامة :

﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ .

(سورة الملك)

٩ ـ انقطاع الحجة بعد نعمتى : العقل والرسالة

لقد خلق الله الجن والإنس ، ووهبهما نعمتين جليلتين ، هما : نعمة العقل ، ونعمة الرسالة ، فأصبحا مكلفين بمعرفة الله وطاعته .

وبعد هاتين النعمتين انقطعت حجة المخلوق أمام الله تبارك وتعالى ، كما قال الله تعالى فى كتابه الكريم فى سورة يس :

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ . وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ . وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ . هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ . اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ .

وقال تعالى فى سورة النساء :

﴿ ... رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ . لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ .

١٠ ــ الله جل جلاله

لفظ الجلالة : « الله » لفظ عربى يدل على ذات الخالق ــ جل فى علاه ــ وهو مأخوذ من الإله .

ولما كان لفظ الإله يدل على كل معبود ، بحق أو بغير حق ؛ فقد أخذ منه لفظ « الله » بعــد حذف همزة الإله ، ليــكون علما على ذات الإله الحقيقى المعبود بحق . .

وهذا الاسم هو الاسم الأعظم للخالق : جل وعلا .

ومعنى لفظ « الله » فى اللغة العربية ، أى : الإله الحق المعبود بحق ، لأنه خلق كل شىء ، وما عداه مخلوق ، ورزق كل حى ، وما عداه مرزوق .

ولما كان بعض الـكفار يعبدون مخلوقا وينادونه بقولهم : يا ألله بيّن القرآن الـكريم : وهَدْىُ النبى الأمين : من هو الله ؟

وإليك بيانا موجزًا بما ينطوى تحت لفظ الجــلالة من حقائق ، وهو : « الله » ــ جل وعلا ــ إله موجود قبل وجود أى موجود ، ووجوده أزلىٌ ، لا أول له ، أبدىٌ ، لا نهاية له :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

كل ما خطر بعقل الإنسان فالله بغير ذلك ، وكل ما سمعته أذن الإنسان ، فالله بغير ذلك ، وكل ما رأته عين الإنسان ، فالله بغير ذلك ، متصف في الجملة بكل كمال ، ومنزه عن كل نقص :

﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

حكم بظهور هذه المخلوقات فى القضاء ، وأظهر ما ظهر منها فى القدر ، ولا زال يظهر منها ما سوف يكون إلى يوم القيامة .

يرى كل شىء ويسمع كل شىء ، وعالم بكل شىء ، وقادر على كل شىء ، وخالق لكل شىء ! . .

فهو خالق ، وما عداه مخلوق ، يَطَّلِعُ على قلب العبد ونيته ، ولا يطلع على قلب العبد ونيته إلا هو !

قال تعالى فى سورة الملك :

﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ .

متصف بثلاث عشرة صفة من صفات الكمال ، وهى :

(الوجود ، والقدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث ، والقيام بالنفس ، والوحدانية ، والقدرة ، والإرادة ، والعلم ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والكلام) .

وهو سبحانه وتعالى موجود فى كل زمان وفى كل مكان ، ولكنه لا يحتاج إلى زمان ولا يحتاج إلى مكان ، لأنه كان موجودا قبل ظهور الزمان ، وقبل ظهور المكان ، وهو الآن على ما عليه كان .

ولقد وهبنا ذاتا تدلنا على ذاته ، وذاتنا دم ولحم وعروق وأعصاب ومفاصل وعظام وروح ، وذاته منزهة عن ذاتنا .

ووهبنا صفات تدلنا على صفاته !..

ومن هـذه الصفات أنه وهبنا حياة تدلنا على حياته ، ووجودا يدلنا على وجوده، وسمعا يدلنا على سمعه ، وبصرًا يدلنا على بصره، وكلاما يدلنا على كلامه ، وقدرة تدلنا على قدرته ، وغنى يدلنا على غناه ، وإرادة تدلنا على إرادته ، وحكمة تدلنا على حكمته !..

وقدر لنا ضعفا يدلنا على قوته ، وبدءًا يدلنا على أزليته ، وفناء يدلنا على بقائه !..

ووهبنا أبنـاء تدلنا على أنه لم يلد ، وأبا وأما يدلان على أنه لم يولد ، وزوجة تدلنا على أنه لم يتخـذ صاحبة ولا ولداً !..

وأنه لا يحتاج إلى أنيس ولا إلى جليس، وفى الحديث الشريف :

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ » .

وهو سبحانه يمسك السماوات والأرض أن تزولا ، وهو جل جلاله القيوم القائم بنفسه والذى لا يقوم به غيره ، أمره بين الكاف والنون ، وإذا أراد شيئاً يقول له : ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ .

ابتدع هذا الكون بكلمة القدرة .

له نفس ليست كنفوس الخلق .

قال تعالى فى سورة المائدة :

﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ .

وله وجه لا كالوجوه ، قال تعالى فى سورة الرحمن :

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ .

وله يدان ليست كالأيدى . قال تعالى فى سورة المائدة :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ ، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ، بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ .

ذاته منزهة عن ذوات المخلوقات ، وصفاته منزهة عن صفات المخلوقات ، وأفعاله منزهة عن أفعال المخلوقات .

له أسماء تسمى « بالأسماء الحسنى » لأنها تدل على معان حسنة ، وهذه الأسماء مفروض منها على الناس تسعة وتسعون اسماً ، واردة فى كتاب الله وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال عنها الحديث الشريف الوارد فى صحيح البخارى ، رضى الله عنه :

« إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا . مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

ومن هذه الأسماء لفظ الجلالة وهو « الله » ، ويدل على الذات الإلهية . أما بقية الأسماء فتدل على صفات تتصف بها الذات .

وله أسماء أكثر من ذلك ، يؤيدها قول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ : أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي ، وَنُورَ صَدْرِي ، وَجَلَاءَ حُزْنِي وَغَمِّي » .

وهو الحي ، وحياته أزلية لا أول لها ، أبدية لا نهاية لها ، وحياته من غير روح ، وهو سبحانه وتعالى الذى خلق الروح وسر الروح .

وحياته لا تحتاج إلى روح ، ويستحيل فصل حياته عن ذاته ، لأن من صفاته البقاء .

قال تعالى فى سورة القصص :

﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ ، لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ، لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

هو الذى كوّن الإنسان فى بطن أمه من العدم ، وأمده بالعقل والسمع والبصر والكلام وكل المواهب التى تحل فى الجسم ، فتشعره بالجوع والعطش ، والفرح والحزن ، والحرّ والبرد ، والخير والشر ، وغير ذلك .

الله تعالى هو الذى خلق الإنسان من العدم عن طريق الأبوين الرحيمين ، ليتربى برحمتهما فى الصغر ، وليكرما برحمته فى الكبر . وليؤمن أو يكفر ، أو يطيع أو يعصى ، بتوجيههما أو بتوجيه غيرهما .

الله جلت قدرته وتعالت حكمته هو الذى حكم علينا بالفناء ، وانفرد وحده بالبقاء ، وهو المسيطر على حفرة القبر ، قال تعالى فى سورة قَ :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴾ .

وقال فى سورة الرحمن : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ .

وهو القادر على إحياء الإنسان من العدم بعد أن يفنى فى التراب ، كما قال تعالى فى سورة يس :

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ . وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ .

الله عز وجل هو الذى سوف يحاسب الإنسان على أعماله يوم القيامة بعد إحيائه من الموت ويدخله الجنة ـ إن كان من السعداء ، أو يدخله النار ـ إن كان من الأشقياء .

وهو سبحانه وتعالى سوف يتجلى على السعداء بعد دخول الجنة ، فيرونه بلا كيف وبلا انحصار : رؤية تليق بالعزيز الغفار !..

وسوف يتجلى على الصالحين الناجين من النار بالرؤية قبل دخول الجنة ، كما قال تعالى فى القرآن الكريم فى سورة القيامة :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ .

والرؤية فى الجنة على حسب عمل الإنسان ، فكلما كان الإنسان مقربا من الله تعالى تمتع أكثر برؤية الله ، كما ورد فى كتاب الله ، حيث يقول الله تعالى فى سورة القمر :

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ، فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ، عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ .

وقال تعالى فى سورة يونس :

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ .

فالحسنى : هى الجنة ، والزيادة : هى التمتع برؤية الله ـ جل وعلا .

ورؤية الله تعالى ، هى النعمة الأولى فى الجنة .. فكلما نظر الإنسان إلى الله ، ازداد وجهه حسنا ونضارة .

أسأل الله تعالى أن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم .

١١ — الرب جل وعلا

الرب معناه : المربى ، وكلمة رب مشتقة من التربية . ولو رجعنا إلى الحق لوجدنا أن الإنسان يربَّى — بين يدى الله تعالى — أكثر بكثير ممن يربى بين يدى الوالدين الرحيمين .

قال تعالى فى سورة الفاتحة :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وقال تعالى فى سورة الأنعام :

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا . وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ .

١٢ — نداء المؤمن ونداء الكافر على الله تعالى

المؤمن ينادى من خلقه ورزقه قائلا : يا ألله ، وينادى قائلا : يا رب . والكافر أيضا يقلد المؤمن وينادى قائلا : يا ألله ، وينادى قائلا : يا رب .

والله تعالى يستجيب للمؤمن ويرد عليه ، ولا يستجيب للكافر ولا يرد عليه .

والسبب فى ذلك أن المؤمن يتوجه إلى الله تعالى بلسانه وقلبه .

فاللسان ينادى والقلب متوجه إلى الله ، فيه الإيمان وفيه نية الطاعة والاعتراف ، وفيه توحيد الله وتنزيهه .

أما الكافر فينادى بلسانه ، وقلبُه قاصد إلهاً آخر وربًا آخر ، لم يَخْلُقْ ولم يرزُق ، ولا يستطيع أن يضر ، ولا يستطيع أن ينفع ، وفى هذا القلب الكفر ونيـــة الإصرار على الكفر أو الإشراك ، وفيه نيـــة عدم الاعتراف بوحدانية الله وعدم الاعتراف بكتاب الله ورسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لهذا يستجيب الخالق من المؤمن ، ويرد عليه دون أن يشعر ، ولا يستجيب من الكافر ولا يرد عليه .

قال تعالى فى سورة البقرة :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ .

وقال تعالى فى سورة غافر :

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ .

١٣ ـ رؤية الله تعالى

وسماع كلامه فى الدنيا من الممكنات

رؤية الله ـ تبارك وتعالى ـ وسماع كلامه فى الدنيا من الممكن ، ولقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه وكلمه فى ليلة الإسراء والمعراج . . ولما رآه حياه ، وسجد بين يديه وقال :

﴿ التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ ﴾ .

فرد الله تعالى على نبيه بقوله :

« السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ » .

فرد النبى ، صلى الله عليه وسلم ، على ربه وقال :

« السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ » .

فقال جبريل الأمين ـ وكان واقفاً عند سدرة المنتهى ، سامعا للحديث الذى دار بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين الله ـ :

« أَشْهَدُ أَلَّا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ ،

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ » .

ولقد أوحى الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم بعد أن فرض عليه الصلوات الخمس أن يضع التحيات التى دارت بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين الله فى الصلوات ، ليعلم المسلم والمسلمة أن ربه ليس

خيالا من الخيالات ، ولا ظنًا من الظنون ، ولكنه حقيقة هذا الكون وسر هذا الوجود .

وأوحى الله أيضًا إلى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للإنسان :

(اُعْبُدِ اللّهَ كَأَنَّكَ تَراهُ . فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فَإِنَّهُ يَراكَ !)

ولما سئل النبى ، صلى الله عليه وسلم ، قال فى حديث شريف :

« اِنْعَكَسَ نُورُ بَصَرِى فِي بَصِيرَتِي ،

فَرَأَيْتُ مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ ! »

وقال فى حديث آخر :

« رَأَيْتُ رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ » .

ولقد طلب سيدنا موسى من الله أن يرى الذات الإلهية بقوله فى سورة الأعراف :

﴿ رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ .

ولو كانت الرؤية غير جائزة فى الدنيا ، لما طلبها سيدنا موسى ، وهو كليم الله تبارك وتعالى .

ولقد علق الله تعالى الرؤية على استقرار الجبل ، واستقرار الجبل ممكن ، وما علق على الممكن فهو ممكن .

أما الأحاديث التى نفت الرؤية فلم تثبت .

ولقد أثبت الرؤية للنبي صلى الله عليه وسلم فضيلة الإمام الراحل « الشيخ محمود خطاب السبكى » إمام أهل السنة فى كتابه « الدين الخالص » الجزء الأول ، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

ولا عجب أن يرى خاتم الأنبياء ربه ويكلمه - إذ ثبت أنه أفضل الأنبياء ، فقد قال صلى الله عليه وسلم :

« أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ » .

ثم إن الملائكة قبل رحلة الإسراء والمعراج نزلت إلى الأرض، وفتحت صدر النبي صلى الله عليه وسلم وقلبه وملأته إيمانًا على الإيمان ونوراً على النور ، فاستطاع النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذا التجهيز الإلهى أن يحظى برؤية الله تعالى وتكليمه .

قال تعالى فى سورة البقرة :

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ .

ولقد ثبت أن سيدنا موسى - عليه السلام - كلم الله تعالى مراراً فى أيام حياته الدنيوية .

قال الله تعالى فى سورة النساء :

﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ .

١٤ ـ سماع كلام الله تعالى

ورؤية الذات الإلهية

الله جل جلاله قد حكم فى القضاء والقدر أن يحجب الإنسان عنه وأن يحجب الجن عنه بحجابين اثنين فى الدنيـا :

الحجاب الأول : يمنـع الإنسان والجن عن رؤية ذات الله تعالى .

والحجاب الثانى : يمنـع الجن والإنس عن سماع الـكلام الأزلى الصادر من ذات الله تعـالى .

ولقد ثبت أن سماع كلام الله تعالى الأزلى ، ورؤية الذات الإلهية من الممكنات فى الدنيا والآخرة .

وهذان الحجابان جعلهما الله بينـه وبين الجن والإنس للبلاء والامتحان أولا ، ولضعف الجن والإنس ثانيـا ، فإن الجن والإنس لا يستطيعون رؤية الله تعالى ، ولا سماع كلامه الأزلى فى الدنيا . ولقد ورد فى الحديث الشريف أن الله تعالى قال لسيدنا موسى عليه السلام :

[يا مُوسَى : إِنَّهُ لا يَرانِى حَىٌّ إِلَّا ماتَ ،
وَلا جامِـدٌ إِلَّا تَدَهْدَهَ] .

ولقد جاء ذلك فى كتاب الله تعالى ، قال تعالى فى سورة الشورى :

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُـكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ، إِنَّهُ عَلِيٌّ حَـكِيمٌ ﴾ .

وسوف يبقى هذان الحجابان بينه وبين الإنسان والجن ـ فى الدنيا وفى القبر ـ إلى يوم القيامة .. فإذا جاء يوم القيامة ، فإن الله تعالى سوف يرفع حجاب الكلام بينه وبين الناس جميعا .

قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمانٌ !.. فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ ، فَلا يَرَى إِلَّا ما قَدَّمَ !.. وَيَنْظُرُ عَنْ شِمالِهِ ، فَلا يَرَى إِلَّا ما قَدَّمَ ! .. وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقاءَ وَجْهِهِ !.. فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ . فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » .

أما حجاب الإنسان عن رؤية الله تعالى ، فسوف لا يُرْفَعُ إلا عن السعداء الناجين من النار ، قال تعالى فى سورة القيامة :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ .

وقال تعالى عن الكافرين فى سورة المطففين : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ . ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴾ .

وعن جرير بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ قال :

كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وقال : « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِياناً كَما تَرَوْنَ هٰذَا الْقَمَرَ ، لا تُضامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ » .

١٥ – ما تشير إليه الخمسة أصابع فى اليدين والرجلين

تشير الخمسة أصابع إلى لفظ الجلالة ، وهو « الله » ، أى تنطق الخمسة الأصابع لفظ الجلالة ، وهو « الله » باللغة العربية فى أيادى وأرجل جميع الناس ، وهذه صنعة الله وحكمة الله !..

ويتجلى ذلك جليا عندما يغضب الإنسان ، فيدير الإصبع الرابع والخامس ، ويجعلهما فى شكل دائرة ، ويحلف ويقول :

« والله الذى لا إله غيره ، لأفعلن كيت وكيت » .

فالذى ألهم الإنسان أن يصنع بالأصابع كما ذكر ، هو المولى جل وعلا ، الذى ألهم الطفل أن يرضع ثدى أمه وثدى المرضعة عقب الولادة .

ورب قائل يقول : لماذا صور الله تعالى اسمه الجليل ، وهو لفظ « الله » على أصابع الناس باللغة العربية ولم يصورها بلغة أخرى ، كالإنجليزية والفرنسية مثلا ؟

والجواب على ذلك : أن الله تعالى خلق جميع اللغات ، لقوله تعالى فى سورة الروم :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ . إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ .

ولا حرج على اختيار الله تعالى ، إذ فضل اللغة العربية على غيرها من اللغات ، فصور اسمه الجليل بها على أيادى الناس وأرجلهم منذ بدء الدنيا إلى يوم القيامة . فلله أن يختار ما يشاء ، كما قال تعالى فى سورة القصص :

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ، مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ، سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

ولقد ورد أن اللغة العربية هى لغة أهل الجنة ، وسوف يُفنى اللهُ تعالى اللغات كلها ويُبقِى لغة الخلود ، وهى اللغة العربية ، لتكون لغة لأهل الجنة ، كما أننا نجد أن اللغة العربية هى لغة أفضل كتاب مقدس وهو القرآن الكريم ، ولغة أفضل رسول صلى الله عليه وسلم ، ولغة أفضل أمة ظهرت فى الأرض .

وإذن لا مانع عقلا أن يصور الله تعالى اسمه الجليل على أيادى الناس وأرجلهم باللغة العربية .

ومما يؤيد ذلك : أن عدد أسماء الله الحسنى المفروضة على الناس مصورة فى باطن الكفين لكل إنسان .

١٦ ـ باطن الكفين للإنسان

مما يؤيد القول السابق ، وهو أن الله تعالى صور اسمه الجليل على أيادى الناس وأرجلهم باللغة العربية : أننا نرى أن الله تعالى صور أيضا أسماءه الحسنى التسعة والتسعين فى باطن الكفين لكل إنسان بالحساب العربى .

فنرى فى باطن كف اليمنى ثمانية عشر اسما مصورة بالحساب العربى ، ونرى واحدا وثمانين اسما مصورة أيضا بباطن اليسرى بالحساب العربى .

فإذا جمعنا ١٨ + ٨١ لنتج = ٩٩ وهى عدد أسماء الله الحسنى المفروض معرفتها على كل مسلم ومسلمة ، والوارد فيها حديث البخارى ـ رضى الله عنه ـ الذى قال فيه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا : مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

١٧ – أطراف أصابع الإنسان

لو تأملنا أطراف أصابع الإنسان، لوجدنا فيها بصمات خاصة تخالف بصمات أى إنسان آخر !

ولقد جعل الله ذلك تمييزاً لكل إنسان، علاوة على صورة لوجه حتى إذا شوهت صورة الوجه لأى حادثة من حوادث الزمن، أمكن الناس أن يعرفوا شخصية هذا الإنسان من بصمات يديه .

ولقد استخدمت إدارة تحقيق الشخصية بوزارة الداخلية هذه البصمات فى معرفة الأشخاص المجرمين من الناس .

وفى ذلك يقول الله تعالى فى سورة القيامة :

﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ . وَلَآ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ . أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ . بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُ ﴾ . (صدق الله العظيم)

١٨ – لماذا خلق الله الخير والشر

لقد خلق الله الخير ليعرف الشر ، وخلق الشر ليعرف الخير ، وأراد ظهور الخير وأراد ظهور الشر ، وأمر بالخير ونهى عن الشر .

ولذلك هناك فرق بين الإرادة والأمر ، فإرادة الله أرادت الخير والشر ، والقدرة أظهرتهما من العدم إلى الوجود .

ولكن صدر الأمر من الله تعالى بفعل الخير واجتنباب الشر ، قال تعالى فى سورة الرعد :

﴿ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ . وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ .

والحكمة من خلقه الخير والشر ، والسعادة والشقاوة ، والجنة والنار ، هى معرفة الله تعالى ؛ فلله صفات كرم ورحمة وغنى ، تعرّف من خلقه الخير وأهل الخير ، وصفات قهر وعدل وانتقام تعرّف من خلقه الشر وأهل الشر ، قال تعالى فى الحديث القدسى :

[كُنْتُ كَنْزًا مَخْفِيًّا . فَأَرَدْتُ أَنْ أُعْرَفَ .
فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ .. فَبِى عَرَفُونِى] .

١٩ ــ الخير والشر من الله خلقة ومن الإنسان اختياراً

الله تعالى أراد ظهور الخير والشر ، وأظهرهما بالقضاء والقدر .

وقد أعطى الإنسان عقلا ، وأرسل إليه رسولا ، وأمره أن يختار الخير ويتجنب الشر ، عن طريق نور العقل ونور الرسالة .

وبهاتين النعمتين : نعمة العقل ونعمة الرسالة ، انقطعت حجة الإنسان أمام الله تعالى ، فلا يقبل منه التقليد الأعمى الذى لا يبنى على نور العقل ، ولا يبنى على نور الرسالة . قال تعالى فى سورة الأعراف :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا . أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ . أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ .

٢٠ ـ الإنسان مخير ومسير

اختلف العلماء فى قولهم : الإنسان مسير أو مخير ! فبعضهم قال : إن الإنسان مخير ، وبعضهم قال : إن الإنسان مسير . وبعضهم قال : إن الإنسان مسير ومخير . والحق ـ فيما نعلم ـ مع الطائفة الأخيرة التى قالت : إن الإنسان مخير ومسير ، فالإنسان مخير فى جميع التكاليف الشرعية كالإيمان والكفر والطاعة والمعصية ، ومسير فى نواح أخرى بعيدة عن التكاليف الشرعية كالجوع والعطش والفرح والحزن والمرض والموت .

والله تعالى لا يحاسب ولا يعذب إلا على النواحى الاختيارية كالإيمان والصلاة والصيام . أما النواحى التسييرية كالجوع والعطش والفرح والحزن والمرض والموت فلا حساب ولا عقاب عليها .

قال تعالى تأييدا لذلك فى سورة الأعراف :

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ، وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا . وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ .

٢١ – الإيمـــان

الإيمان هو النعمة الأولى فى هذا الوجود ، إذ به يسعد الإنسان بالجنة ويرحم فى الدنيا والآخرة . وهو عمل من أعمـــال القلب . وهو سبعة فروض ، هى :

التصديق بالله وملائـكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقضاء والقدر .

أما الفرض السابع : فهو نية الطاعة والامتثال للإسلام . فإذا وجد فى القلب ذلك التصـــديق وهذه النية كان الإنسان مؤمنا ، وإلا كان كافرا . قال تعالى فى سورة البقرة :

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ . كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ . وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ .

وقال النبى ، صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف :

« لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّمَنِّى ! وَلَـكِنْ مَا وَقَرَ فِى الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ . إِنَّ قَوْمًا غَرَّتْهُمْ أَمَانِىُّ الْمَغْفِرَةِ حَتَّى خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَلَا حَسَنَةَ لَهُمْ . وَقَالُوا : نَحْنُ نُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ . وَكَذَبُوا . لَوْ أَحْسَنُوا الظَّنَّ لَأَحْسَنُوا الْعَمَلَ » .

٢٢ — الإيمان المكتوم وحكمته

الإيمان المكتوم أن يصدق الإنسان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر ، وينوى الطاعة والامتثال للإسلام والرسالة الأخيرة ، وقد لا يستطيع الإنسان أن يظهر الإيمان باللسان ولا العمل بالأركان خوفا على حياته من الكافرين ، أو حرصا على أن يأتى بأهله وأقاربه إلى الإيمان .. ثم هو يعبد الله خفية بعيدا عن الناس ، ويكون هذا وصف قلب الإنسان الذى كتم الإيمان ، ويكون هذا حاله فى العبادة ، وقد اعترف القرآن بهذا الإيمان ، قال الله تعالى فى سورة غافر :

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ . وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ . وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ . وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ . إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ .

وإذا مات هذا الإنسان على ذلك كان من المؤمنين ، ولو تردد على أماكن عبادة الكافرين ، مجاراة لهم ليسلم من شرورهم وأذاهم ، أو ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، ومن الكفر إلى الإيمان ؛ فلا حرج عليه ولا يضر ذلك إيمانه .

قال تعالى فى سورة الكهف : ﴿مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلَ فَلَنْ تَجِــدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ .

ولو اعترف أمامهم أنه على دينهم ـ وهو دين الكفر ـ ليسلم من شرورهم ، فلا يضره ذلك ما دام قلبه مطمئنا بالإيمان .

قال تعالى فى سورة النحل :

﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ . وَلَٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ ٱللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

٢٣ ـ زيادة الإيمان ونقصه

يولد الإنسان على الفطرة . . فإذا بلغ الإنسان سن الرشد ربا الإيمان قلبه ، أو دخله الكفر عن طريق التلقين . ويكون إيمانه فى البدء ضعيفاً شبيهاً بشجرة صغيرة تحتاج إلى النمو ؛ فإذا فكر الإنسان فى كتاب الله ، وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيما خلق الله ، زاد إيمانه شيئاً فشيئاً . وإذا جالس العلماء والصالحين زاد إيمانه شيئاً فشيئاً . وإذا بحث فى كتاب الله ، وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد إيمانه شيئاً فشيئا . وإذا ابتعد عن أماكن الفتنة والمفتونين ثبت إيمانه وقوى يقينه ، وهكذا .

وكذلك ينقص الإيمان بالمعصية كالسرقة والزنا وغيرها ، وبهذا يتطور الإيمان من حال إلى حال . فالطاعة تزيد الإيمان والمعصية تنقص الإيمان .

ولا يزال الإيمان يزيد وينقص بهذه الأسباب ، حتى ينتهى الأجل ويختم للإنسان بنتيجة العمل .

ولقد سئل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن زيادة الإيمان ونقصه . فقال صلى الله عليه وسلم :

« الْإِيمَانُ يَزِيدُ حَتَّى يُدْخِلَ صَاحِبَهُ الْجَنَّةَ ، وَيَنْقُصُ حَتَّى يُدْخِلَ صَاحِبَهُ النَّارَ » .

قال تعالى فى سورة مريم :

﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى . وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴾ .

وقال أيضاً فى سورة الفتح : ﴿ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لَا يَزْنِى الزَّانِى حِينَ يَزْنِى وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ إِلَيْهِ النَّاسُ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ .

٢٤ — اختلاف الإيمان فى القلوب

لو أطلعنا الله على القلوب التى استأثر بعلم ما فيهـا ، لوجدنا أن الإيمان يختلف فى قلوب الناس : فمن الناس من يكون الإيمان فى قلبه كذرة ، ومنهم من يكون الإيمان فى قلبه كحبة رمل أو كحجم بيضة أو كحجم بطيخة ، ويزيد ثم يزيد ثم يزيد بالعمل الصالح حتى يصبح كبناء شامخ .

وقد ينقص ثم ينقص ثم ينقص بالمعصية حتى يضعف أو يزول ـ وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اِعْمَلُوا ! فَسَوْفَ يَكُونُ هُنَاكَ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ : يُصْبِحَ الْإِنْسَانُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ! وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ! يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا » .

ويقول الله تعالى فى سورة النساء :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ٱزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ .

(سورة النساء)

٢٥ ــ دعاء الإيمان والكفر والطاعة والمعصية

لقد خلق الله للإيمان والكفر وعاء حصينا دفينا فى داخل القلب ، وجعل القلب فى داخل الصــدر — وأحاط الصدر بالأضلاع — واستأثر سبحانه وتعالى بعلم ما فى القلوب – فلا يطلع على القلوب إلّا علام الغيوب !

قال تعالى فى سورة الملك :

﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ . إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ .

وقال تعالى فى سورة طه :

﴿ وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ، اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ .

وقال فى الحديث القدسى :

[الْإِخْلَاصُ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِى ،
أَوْدَعْتُهُ قَلْبَ مَنْ أَحْبَبْتُ مِنْ عِبَادِي .
لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكْتُبَهُ ،
وَلَا شَيْطَانٌ فَيُفْسِدَهُ] .

فالإيمان أو الكفر والطاعة والمعصية كلها مستقرة فى القلب ، والنوايا أيضا مستقرة فى القلب — والطاعة والمعصية لها تأثير على قلب الإنسان .

قال تعالى فى سورة المطففين :

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى فى سورة الرعد :

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ .

٢٦ — أنواع الإيمان

الإيمان ثلاثة أنواع ، وهى :

١ — الإيمان الضعيف كإيمان الكسالى المستهترين القاعدين .

٢ — الإيمان المتوسط كإيمان من خلط عملا صالحا وآخر سيئا .

٣ — الإيمان القوى ـ كإيمان الأنبياء والأولياء والصالحين .

ولقد ورد ذلك فى قول الله تعالى فى سورة فاطر :

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا . فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ . ذَلِكَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ .

وبالعمل الصالح أو الطالح ينتقل الإنسان من نوع إلى نوع آخر . فقد ينتقل بالعمل الصالح من الإيمان الضعيف إلى الإيمان المتوسط ، أو إلى الإيمان القوى !

وقد ينتقل بسبب الطاعة من الكفر إلى الإيمان !

وقد ينتقل بسبب المعصية من الإيمان القوى إلى الإيمان المتوسط ، أو إلى الإيمان الضعيف !.. وقد ينتقل بسبب المعصية من الإيمان إلى الكفر !

فبالعمل يزيد الإيمان ويثبت ، وبالكسل والإهمال ينقص الإيمان ، وقد يزول .

وفى ذلك يقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« اِعْمَلُوا ! فَسَوْفَ يَكُونُ هُنَاكَ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ : يُصْبِحُ الإِنْسانُ فِيها مُؤْمِنًا وَيُمْسِى كافِرًا ! وَيُمْسِى مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كافِرًا ! يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيا » .

وقد قال الله تعالى فى سورة النساء :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ، ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ، ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا ، لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ .

٢٧ – الكفر

محل الإيمان : القلب ، وكذلك محل الكفر : القلب . ويولد الطفل وقلبه خال من الكفر ، فإذا بلغ الإنسان سن الرشد (الذى جعل الله له علامات في الذكر والأنثى) نما عقله وجسمه . وعند ذلك يثبت الإيمان أو يتطرق الكفر إلى قلبه عن طريق التلقين .

وفى ذلك يقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ .

فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ » .

ومن الاختلاط بالكفرة يتعرض الإنسان للوساوس الشيطانية ، فتزيد درجة الكفر فى قلبه حتى يتعصب للكفر ويحرص عليه ، كما يتعصب المؤمن للإيمان ويحرص عليه . ومعنى الكافر فى الإسلام : أنه إنسان عرف الله بعقله ، وكتم المعرفة فى صدره ، ونوى عدم الامتثال بقلبه ، وأنكر الإيمان بلسانه . قال تعالى فى سورة النحل :

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

وقال تعالى فى سورة البقرة :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ، وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

وقال تعالى فى سورة البقرة : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ .

٢٨ — أنواع الكفر

للكفر أنواع كثيرة منها :

١ — أن يقول الإنسان : إن الدنيا طبيعية وليس لها خالق ، كالشيوعيين .

٢ — أن يدعى الإنسان شريكا لله فى ذاته ، أو فى صفاته ، أو فى أفعاله ، وذلك كمن يقول : إن ذات المسيح من ذات الله ، أو ذات العزير من ذات الله .

٣ — أن ينسب الإنسان لله نقصاً فى ذاته أو فى صفاته ، أو فى أفعاله ، كما قالت اليهود فى سورة آل عمران :

﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ .

وكما قالت اليهود فى سورة المائدة :

﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ .

٤ — أن يتبرم الإنسان ولا يرضى بقضاء الله وقدره ، ففى هذا شك فى عدل الله ، وفى كمال الله ، وفى رحمة الله .

٥ — ألا يعترف الإنسان بوجود الملائكة .

٦ — أن يُحَرِّفَ أو يكذِّب آية من كتاب الله ، أو حديثاً من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٧ — ألا يعترف الإنسان بكتاب سماوى صحيح ، أو برسول من الرسل الوارد ذكرهم فى رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٨ — أن يُكَذِّبَ الإنسان بيوم القيامة ، أو بموطن من مواطن يوم القيامة .

٩ — ألا يصدق الإنسان بقضاء الله وقدره .

١٠ — ألا يمتثل الإنسان لرسالة سيدنا : محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ، وينوى الطاعة لها أولا ، ويشرع فى العبادة على نظامها ثانياً ؛ حيث أن الله تعالى قد ألغى نظام العبادات فى الشرائع السابقة ، وفرض على الناس جميعا اتباع نظام العبادات فى الشريعة الأخيرة الخاتمة ، حرصاً منه ـ جل وعلا ـ على وحدة الناس وتآلفهم وتراحمهم .

قال تعالى فى سورة الأعراف :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ . لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ . فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ .

٢٩ – أمراض القلب

قلب الطفل طاهر لا دنس فيه ولا مرض ؛ فهو على الفطرة .
ومعنى على الفطرة أى باقٍ على أصل الخلقة كالصفحة البيضاء يخط عليها المربى ما يشاء . فإن شاء المربى جعله ملكاً كريما ، وإن شاء جعله شيطاناً مريداً ! ثم إن هذا القلب الطاهر السليم يتطرق إليه بالاختلاط والتقليد صفات متعددة ، منها : الكفر ، والكذب ، والكبر ، والبخل ، والخيانة ، والمكر السيء ، والطمع ، والحقد ، والحسد ، والغش ، وخلف الوعد ، والجبن ، والكسل ، والفظاظة ، والقسوة ، وحب الانتقام ، والفخر ، وحب العناد .

وهذه الصفات تسمى عناداً فى الإسلام .

وقد قال الله تعالى عنها فى سورة البقرة :

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ .

والإنسان إذا لجأ إلى التوبة الصادقة ، ولازم العبادة وأماكن العبادة ولازم العلماء والصالحين من المؤمنين ، وتردد على المساجد ، فإن حالة القلب تتغير من حال إلى حال ، فيصبح القلب مؤمناً بعد أن كان كافراً ، أميناً بعد أن كان خائنا ، رحيما بعد أن كان قاسيا ، متواضعا بعد

أن كان متكبراً ، صادقا بعد أن كان كاذبا ، كريماً ، بعد أن كان بخيلا ، وهكذا .

وهذه المجاهدة للنفس هى ما يدعو إليها الإسلام بقول الله تعالى فى سورة التحريم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ، عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، يَوْمَ لا يُخْزِى اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ .

هذا ، وأمراض القلب تسمى (سوء الخلق) وضده (حسن الخلق) .

وحسن الخلق ثمرة من ثمرات الإيمان والعمل الصالح ، فإذا عبد الإنسان ربه عبادة كاملة صحيحة نتج عن هذه العبادة « حسن الخلق » فيصبح المسلم متصفاً بالأخلاق الفاضلة ، كالصدق ، والأمانة ، والرحمة والكرم ، والتواضع ، والقناعة ، والعفة ، والشجاعة فى الحق ، والعفو ، والوفاء بالوعد ، والرضا بالقضاء والقدر ، والزهد ، وغير ذلك .

وإذا كانت العبادة ناقصة كانت الأخلاق ناقصة ، وينتج عن ذلك من سوء الأخلاق : الكذب ، والخيانة ، والقسوة ، والبخل ، والكبر ، والطمع ، والجبن ، وحب الانتقام ، وخلف الوعد ، وعدم الرضا بالقضاء والقدر .

ولقد مدح الله نبيه بقوله فى سورة القلم :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم :

« أَقْرَبُكُمْ مِنِّى مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا » .

٣٠ — القضاء والقدر

القضاء : حكم صدر من الله تعالى بإظهار - المخلوقات خيرها وشرِّها بالنظام الذى فى علمه وإرادته .

والقدر : تنفيذ الحكم وإظهار المخلوقات بالنظام الذى فى علمه وإرادته .

وعلى هذا ، فالقضاء كُلُّهُ قد ظهر إلى الوجود . أما القدر فظهر منه ما ظهر من المخلوقات إلى الآن ؛ وسوف يظهر منه بقية ما حكم الله بظهوره إلى يوم القيامة - والرضا بالقضاء والقدر فرض من فروض الإيمان ، وإذا لم يعرف الإنسان معنى القضاء والقدر ، ولم يؤمن به ، فهو لا يعرف من أين أتى ، ولا إلى أين يسير ، ولا المصير !

لذلك فرض الله على الناس فهم معنى القضاء والقدر ، والتصديقَ بالقضاء والقدر .

قال تعالى فى سورة القمر :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ . وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ .

٣١ ـ الرضا بالقضاء والقدر

الرضا بالقضاء والقدر فرض من فروض الإسلام ـ لأن المسلم متى عرف أن الله تعالى كامل وعليم وحكيم ومنزه عن الظلم ، فقد فُرِضَ عليه الرضا بالقضاء والقدر .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث القدسىّ :

« مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي ، وَيَصْبِرْ عَلَى بَلَائِي ، وَيَشْكُرْ نَعْمَائِي ؛ فَلْيَتَّخِذْ رَبًّا سِوَايَ » .

وقال تبارك وتعالى فى سورة البقرة :

﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ .

٣٢ ـ أدلة وجود القضاء والقدر

الإنسان إذا أراد أن يفعل شيئًا، وضع له تصميمًا، ورسم له رسما يبين أبعاده وأوصافه، حتى يظهر ذلك الشيء تامًا ومتقنًا.

فالله العليم الحكيم أولى بذلك، فقد وضع القضاء والقدر، وحدد فيه كل شيء، فظهرت المخلوقات مُتْقَنَةَ الصُّنْع، فدلت على كمال صانعها، وتمام علمه وحكمته.. قال تعالى في سورة القمر:

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

وقال تعالى في سورة الأنعام:

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

٣٣ ـ أدلة وجود الله تعالى

من الأدلة على وجود الله تعالى ما يأتى :

١ — وجود المخلوقات ، فالمخلوقات صنعته ، والصنعة تدل على صانع ـ إذن فوجود المخلوقات يدل على وجود الخالق جل وعلا .

قال تعالى فى سورة الطور :

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ .

٢ — معجزات الرسل : هى أمور خارقة للعادة ، ليست فى مقدور الناس ، فظهور المعجزات على أيادى الرسل تدل على وجود الله ، لأنها مستمدة منه .

٣ — كرامات الأولياء المشاهدة والملموسة بين الناس تدل على وجود رب الناس ، لأنها مستمدة منه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث القدسى :

[قال الله تعالى : مَنْ عَادَى لِى وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ . وَمَا تَقَرَّبَ إِلَىَّ عَبْدِى بِشَىْءٍ أَحَبَّ إِلَىَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ . وَلَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ .

فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا . وَلَئِنْ سَأَلَنِى لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِى لَأُعِيذَنَّهُ » .

٤ — تكليم بعض الرسل لله تعالى بدون واسطة ملك الوحى : جبريل ، وهم : آدم ، وموسى ، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

قال تعالى فى سورة النساء :

﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ .

وقال تعالى فى سورة البقرة :

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ .

٥ — رؤية النبى ، صلى الله عليه وسلم ، لربه — عز وجل — فى ليلة الإسراء والمعراج :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف :

« اِنْعَكَسَ نُورُ بَصَرِى ، فِى بَصِيرَتِى ،
فَرَأَيْتُ مَن لَّيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ ! »

٣٤ – أدلة وحدانية الله تعالى

من الأدلة على وحدانية الله تعالى ما يأتى :

١ – انتظام حال الكون .. فلو تعددت الآلهة ، لاختل حال الكون ، واختل نظام الشمس والقمر ، والليل والنهار .

قال تعالى فى سورة الأنبياء :

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ .

٢ – إن الخمس أصابع فى اليدين والرجلين لجميع الناس تنطق : « الله » باللغة العربية ، لغة الخلود : ولغة أهل الجنة ! وباطن الكفين أيضًا لجميع الناس مصورًا لها ، وعدد أسماء الله الحسنى المفروضة على الناس تسعة وتسعون اسمًا ، ففى باطن الكف اليمنى ثمانية عشر اسما ، وفى باطن اليد اليسرى واحد وثمانون اسما ، فيكون المجموع تسعة وتسعين اسما ، الواردة فى الحديث الشريف .

وهذا من أدلة وحدانية الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا ؛ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

٣ — صورة الإنسان تدل على وحدانية الرحمن . إذ أنه من المستحيل أن تشتبه صورة إنسان بإنسان آخر ، بحيث لا يمكن التمييز بينهما ، فلا يشتبه رجل برجل ، ولا تشتبه امرأة بامرأة ، بحيث لا يمكن التمييز بينهما .

وهذا من أدلة وحدانية الله جل وعلا .

قال تعالى فى سورة آل عمران :

﴿ هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ، لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

وهذا كله يدل على وحدانية الله تعالى .

ورغم هذا جاء فى جميع الكتب السماوية ، وعلى ألسنة جميع الرسل : أن الله واحد لا شريك له .

قال تعالى فى سورة الأنبياء :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ .

٣٥ – الملائكة وأدلة وجودهم

الملائكة خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ ، خلقهم الله من النور ، لهم أجنحة واردة فى القرآن الكريم :

قال الله تعالى عنهم فى سورة فاطر :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ، جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ، أُولِى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ، يَزِيدُ فِى الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ، إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وقد ورد أن لجبريل : مَلَاكِ الوحى ستمائة جَناح ، كل جناح كما بين المشرق والمغرب !

هذا ، والملائكة أقوى ما خلق الله تعالى ، فهم يحملون عرش الله ويستطيعون أن يزحزحوا الجبال ، ويمكنهم أن يخسفوا أماكن من الأرض !

وقد سخرهم الله لأغراض شتى ، منها : حفظ الإنسان .

قال تعالى فى سورة الطارق :

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ . إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾.

ومن أعمال الملائكة : تسخير الرياح وإنزال المطر ، والنزول بالوحى على الأنبياء ، وإلهام الناس بما يريده الله تعالى ، وقبض الأرواح ، وتكوين الإنسان والحيوان والطير فى بطون الأمهات وفى البيض ، إلى غير ذلك من الأعمال .

والملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ، ولا ينسون ولا يغفلون . ولا يتناكحون ولا يتناسلون ، وهم معصومون ، لا يكفرون ولا يعصون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، وهم لا يمرضون ، ولا يموتون إلا يوم القيامة .

والملائكة وهبهم الله عقولا ، ولم يركب فيهم شهوات ، ونفوسهم مطبوعة على الخير .

قال الله تعالى عنهم فى سورة عبس :

﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ . كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ .

وهم يرون الإنس والجن ، ويسيطرون عليهم ، لأنهم أقوى منهم بكثير ، والإنس والجن لا يرون الملائكة ، ولا يستطيعون أن يقاوموهم ، ولا يستطيعون أيضاً أن يسيطروا عليهم .

والملائكة لا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة ، وهم فى السماوات والأرض لتدبير شئون العباد ، وغير ذلك .

ولذلك سماهم الله بالمدبّرات أمراً . .

وقد قال الله تعالى عنهم فى سورة النازعات :

﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا . وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا . وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا . فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا . فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ .

وقد ورد أنهم يتشكلون من صورهم الملائكية إلى صورة الإنسان البشرية ، لأن صورة الإنسان من الصور الحسنة التى فضلها الله تعالى . ولا يتشكلون بالصور القبيحة كصورة الكلب والحمار والثعبان والقطة .

وهذا التشكل بإرادة الله تعالى . قال تعالى فى سورة مريم :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا . فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا . قَالَتْ إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا . قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ .

هذا : ويجب أن نعلم أن عدد الملائكة أكثر بكثير من عدد الناس ، وهم من جنود الله تعالى .

ولقد قال الله تعالى عن جنوده فى سورة المدثر :

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

والواجب على الإنسان أن يؤمن بالملائكة جميعا ، إجمالا .

ويعرف منهم بالتفصيل ما يأتى :

١ — جبريل (ملك الوحى) وهو السفير بين الله تعالى وبين الناس .

قال تعالى عنه فى سورة البقرة :

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

٢ — ميكائيل (ملك الرياح والأمطار والنباتات والأرزاق) .

قال الله تعالى عنه فى سورة البقرة :

﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ . فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ .

٣ — إسرافيل (ملك اللوح المحفوظ والصور) :

قال الله تعالى عنه فى سورة الزمر :

﴿ وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى السَّمَٰوَاتِ وَمن فِى الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ .

٤ — عزرائيل (ملك الموت وقبض الأرواح) . قال الله عنه في سورة السجدة :

﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ .

٥ — مالك (خازن النار) . قال الله تعالى عنه في سورة الزخرف :

﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ . لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ .

٦ — رضوان (خازن الجنة) .

قال الله تعالى عنه في القرآن الكريم ، في سورة الزمر :

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ، حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ، وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ .

٧ — منكر ، ونكير ، ومبشر ، وبشير . فالأولان لسؤال الكافرين ، والآخران لسؤال المؤمنين ، كما جاء في الأحاديث الشريفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٨ — رقيب ـ عتيد . وهما : ملكان موكلان بالإنسان لإحصاء الحسنات والسيئات على الناس . قال تعالى عنهما فى سورة قٓ :

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾

هذا : وصورة الملك البشرية المشكّلة لا تحكم عليه . فلو أصيب الملك من الناس ، أثناء تجسده بإصابات قاتلة ، فإنه لا يموت لأن الله تعالى قدّر لهم الحياة طول أيام الدنيا . فهم لا يموتون إلا جملة واحدة يوم القيامة بعد النفخ فى الصور .

قال تعالى فى سورة الزمر :

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ .

أما الجن فصورهم وتشكلهم يحكم عليهم . فلو أصيب الجنىّ فقد يموت بأمر الله تعالى .

هذا : والملائكة جميعا سعداء ومعصومون ، ومن أهل الجنة .

والدليل على وجود الملائكة ما يأتى :

١ — أن الرسل جميعا رأوا الملائكة ، وكلموهم ، وتلقوا منهم الوحى .

٢ — أخبر الله عنهم فى كتبه المنزلة ، وفى رسالات الأنبياء .

٣ — نرى أفعالهم فى الإلهام والرؤيا المنامية وحركة الرياح والأمطار وقبض الأرواح وغير ذلك .

٤ — إذا كان حاكم الدنيا المخلوق له جنود ، إظهارا للعظمة والبطش ، فأحكم الحاكمين أولى بهؤلاء الجنود إظهارًا لعظمته .

والله تعالى يسخر الملائكة لتدبير الشئون ، لا لعجزه عن تدبير الأمور ، ولكن إظهارًا للعظمة أولا ، ولإثابة الملائكة على أعمالهم بالفوز بالجنة ثانيا .

قال تعالى في سورة يس :

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ .

وقال تعالى فى سورة الأنبياء :

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ، سُبْحَانَهُ ، بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ .

والله تعالى هو الهادى سواء السبيل ، وهو القيوم القائم بنفسه والمقوِّم لغيره .

٣٦ ــ الكتب السماوية وعددها وأدلة نزولها

الدليل على إنزال الكتب السماوية ما يأتى :

١ ـــ فعل الإنسان ، فالإنسان إذا أراد أن يخبر إنسانا آخر بشىء هام ، كتب له خطابا بما يريد ليخبره بهذا الشىء .

وإذا أراد أن يبيع شيئا أو يشترى شيئا أو يؤجّر شيئا ، كتب شروطا بذلك ، ليضمن نجاح البيع ونجاح الشراء ونجاح الإيجار .

وهذه حكمة من الإنسان ..

فالله تعالى ـ وهو أحكم الحاكمين ـ أولى بهذه الحكمة ، فإنزاله الكتب السماوية يعد ضمانا لوصول الحق والنور إلى الناس وضمانا لبقاء النور بين الناس .

٢ ـــ القرآن الكريم وهو آخر الكتب السماوية نزولا ، يدل على كتب سماوية سابقة عليه ، أنزلت لأمم سابقة على هذه الأمة .

وقد ورد أن الله تعالى أنزل مائة وأربعة من الكتب السماوية على الرسل فى هذه الأرض ، ولم يحفظ منها فى الأرض إلا القرآن الكريم ، لأنه آخر كتاب سماوى .

وواجب على المسلم أن يؤمن بجميع الكتب السماوية الصحيحة إجمالا ، وأن يعرف أسماء أربعة منها بالتفصيل ، وذلك لمعاصرة من يدعى التبعية لها مع هذه الأمة المسلمة .

ومن هذه الكتب :

التوراة : التى أنزلت على سيدنا موسى .

والزبور : الذى أنزل على سيدنا داود .

والإنجيل : الذى أنزل على سيدنا عيسى .

والقرآن : الذى أنزل على سيدنا محمد . صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

٣٧ — الرسل وعددهم وأدلة إرسالهم

ورد أن عدد الرسل ثلاثمائة وأربعة عشر رسولا ، أولهم : آدم — عليه الصلاة والسلام — وآخرهم : سيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم .

والدليل على إرسال الرسل ما يأتى :

١ — فعل الإنسان ، فالإنسان إذا أراد شيئا من إنسان آخر ، أرسل إليه رسولا يبلغه بما يريد . وهذه حكمة من الإنسان ؛ فالله تعالى — وهو أحكم الحاكمين — أولى بهذه الحكمة ، فقد اقتضت حكمته أن يرسل لكل أمة رسولا يبلغ الناس عن خالقهم ما يريد منهم .

٢ — إرسال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وتأييده بالمعجزات لهذه الأمة ، يدل على إرسال الله رسلا سابقين عليه للأمم السابقة .

قال تعالى فى سورة فاطر :

﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ .

وقال تعالى فى سورة البقرة :

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ، كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ .

وواجب على المسلم أن يؤمنَ بجميع الكتب السماوية الصحيحة ويعترف بها ، وأن يؤمن بجميع الرسل المرسلين ، ويعترفَ بهم ، وإن لم يؤمن بواحد منهم فقد أصبح من الكافرين .

٣٨ – الإســــلام

الإسلام هو : الانقياد لشريعة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، للوصول إلى الإيمان ، والعمل الصالح .

٣٩ – معنى كلمة الإسلام

الإسلام هو : الوصول إلى السلامة من خزى الدنيا وعذاب الآخرة ، بالامتثال لرسالة النبى صلى الله عليه وسلم .

٤٠ ــ قواعد الإسلام

قواعد الإســلام معناها : الأساس الذى يبنى عليه الإسلام . وهى خمس ، واردة فى الحديث الشريف :

قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَلَّا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » .

٤١ ــ أنواع الإسلام

الإسلام نوعان ، وهما :

١ ــ الإسلام الحقيقى : وهو المبنى على الإيمان ، كإسلام الأنبياء والصالحين ــ وهــذا النوع يشبه الذهب الخالص ، وقلوب هذا الصنف من الناس عامرة بالإيمان ، وهو الذى قال الله تعالى فيه ، فى سورة الأنعام :

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ . وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ . وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

٣ — إسلام ظاهرى غير حقيقى : وهو المبنى على النفاق ـ فقلوب هذا الصنف من الناس مملوءة بالكفر ، وألسنتهم تدّعى الإسلام ، وأعضاؤهم تتظاهر بالإسلام !

فهم يتظاهرون بالصلاة والجهاد ، وينطقون بالشهادتين باللسان .

وهذا النوع من الناس يشبه ذهب القشرة ـ فهو ليس بذهب حقيقى ـ وإنما يلمع ويبرق كبريق الذهب ، ولكنه ليس ذهبًا ، وهو الذى قال الله تعالى عنه فى سورة الحجرات :

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ، قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ، وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ .

٤٢ — الفرق بين الإيمان والإسلام

الفرق بين الإيمان والإسلام : أن الإيمان حالة قلبية ، وهو عبارة عن تصديق القلب ، واطمئنانه بوجود أشياء ، وهى :

وجود الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقضاء والقدر ، ونية الطاعة ، والامتثال لكتاب الله وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلها فروض متعلقة بقلب المؤمن .

أما الإسلام الحقيق فهو أعمّ وأتم ، وهو عبارة عن الإيمان والعمل الصالح .

لهذا نجد أن الإيمان أصل الإسلام ، وهو الأساس الذى يبنى عليه البنيان ، إذ يشبه جذر الشجرة الذى تقوم عليه الشجرة .

لهذا نجد أن الإيمان عقيدة قلبية ، والإسلام مظهر لهذه العقيدة .

ومن هذا نعلم أن الإسلام الحقيق هو الإيمان والعمل الصالح .

والإيمان بالنسبة للإسلام كالأساس بالنسبة للبنيان ، وكجذر الشجرة بالنسبة للشجرة .

وفى هذا يقول الله تعالى فى سورة إبراهيم :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ، وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ .

٤٣ ـ التوحيد والإسلام دين الرسل جميعا

التوحيد والإسلام دين الرسل جميعا .

وفى ذلك قال الله تبارك وتعالى فى سورة آل عمران :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ ٱللهِ ٱلْإِسْلَامُ ﴾ .

ومعنى ذلك أن الدين الذى يرتضيه الله تعالى فى كل عصر من العصور ، وفى كل زمن من الأزمان ، وأنزله فى جميع الكتب السماوية ، وأرسل به جميع الرسل ـ دين واحد لا ثانى له ، سماه الله الإسلام ، وحكم به دينا مقبولا فى القضاء ، قبل أن يخلق الأرض والسماء .

والإسلام دستور من الله ـ تبارك وتعـــالى ـ به يعرف الإنسان ربه الذى خلقه ورزقه ، وبه يعرف الإنسان نفسه ، وبه يعرف الإنسان كيف يُصلح الدنيا ، وكيف يسعد بالدار الآخرة ..

وقد قال الله تعالى فى سورة آل عمران :

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

وقال تعالى عنه فى سورة آل عمران أيضا :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ .

٤٤ ـ ضياع الكتب والرسالات السماوية السابقة
وحفظ الله تعالى لرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

لقد ضاعت الكتب السماوية السابقة على القرآن الكريم ، وبُدِّلت وحُرِّفت بفعل الإنسان ، وضاعت أيضا الرسالات السابقة على رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، من الأرض بفعل الإنسان .

وذلك لأن الكتب السماوية والرسالات تتعارض مع أهواء الناس الفاسدة .. فإذا مات رسول ومات خلفاؤه الصامدون المجاهدون ، قام الظالمون على الكتاب المقدس تبديلا وتحريفا وتغييرا . وقام طائفة منهم أيضا على الإسلام حربا وهدما حتى يضيعوا الإسلام والكتاب المقدس . . ولذلك يُنقِذُ اللهُ الناسَ بكتابٍ مقدسٍ آخر ، وبرسالةٍ سماويةٍ أخرى ليظهرَ التوحيدُ والإسلامُ من جديد .

ولذلك نزل لهذه الأرض مائةٌ وأربعةٌ من الكتبِ السماوية ، وضاعت كلها من هذه الأرض ، إلا القرآن الكريم لحفظ الله له ، وَأَرْسَلَ اللهُ تعالى لهذه الأرض ثلاثمائةٍ وأربعةَ عشرَ رسولًا ، ضاعت رسالاتهم جميعا إلا رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لحفظ الله لها .

ولقد حفظ الله القرآن الكريم ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأن القرآن آخر كتاب سماوى ، ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم آخر رسالة سماوية .

ومن حيث إن الدنيا لا زالت لها بقية فى علم الله تعالى ، فالله العليم الحكيم قد تفضل وترحّم وتكرم ، فحفظ للناس نور الشمس والقمر والنجوم فى السماء إلى يوم القيامة ، وحفظ للناس أيضا نور القرآن ، ونور الأذان ، ونور رسالة سيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ونور الصالحين ـ نعما فى الأرض ـ إلى يوم القيامة .

قال تعالى فى سورة الحِجْر :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

وقال جل جلاله فى سورة الكهف :

﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ . وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ .

ولذلك أصبح النور الوحيد فى الأرض إلى يوم القيامة هو نور القرآن الكريم ، ونور رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى فى سورة إبراهيم :

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ .

٤٥ ـ نسخ العمل بالرسالات والكتب السماوية السابقة على هذه الرسالة ، وفرض الرسالة الأخيرة على الناس .

لما ضاعت الكتب السماوية السابقة على القرآن ، وبدلت وحرّفت ، وضاعت الرسالات السماوية السابقة على رسالة سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلها أبطل الله العمل بنظامها . وفرض القرآن الكريم ، ورسالة سيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، على جميع الناس ؛ لأن ذلك هو النور الباقي فى هذه الأرض .

قال تعالى فى سورة الأعراف :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ . لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، فَآمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ . وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ .

فمن عاش مؤمنا برسالة سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعاملا بها ، كان مؤمنا . ومن لم يؤمن برسالة سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يعمل بها ، كان كافرا .

٤٦ ــ نداء القرآن الكريم ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والأذان على الناس

القرآن الكريم ورسالة سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ والأذان، ينادون على الناس ليعرفوا ربهم الذى خلقهم ورزقهم ، ويصلحوا دنياهم ويسعدوا فى أخراهم . وهذه النداءات : عن طريق القرآن والرسالة والأذان والعلماء وغير ذلك ، فمن انقاد لذلك صار من السعداء ، ومن تهاون أو تعالى على ذلك فقد أصبح من الأشقياء . وتظهر نتائج السعادة والشقاوة عند لقاء الله . قال تعالى فى سورة قٓ .

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ، ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ .

٤٧ ــ معجزات النبى صلى الله عليه وسلم

الله تبارك وتعالى ، يؤيد الرسل بالمعجزات ، ولكل رسول معجزاته ، والمعجزة أمر خارق للعادة ، تظهر على يد رسول ينادى بالرسالة السماوية ، تأييدا لصدق هذه الرسالة ، وصدق هذا الرسول .

ولسيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، معجزات كثيرة أثبتت الرسالة .

ومن هذه المعجزات ما يأتى :

١ — نطق الأحجار والأشجار ، فلقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان يمر على الأحجار والأشجار والجبال ، فتنطق له ، وتحدثه وتكلمه ، وتقول له :

(السَّلامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ اللهِ) .

٢ — نطق الجذع ـ والجذع ساق نخلة كان منصوبا فى المسجد . وكان النبى صلى الله عليه وسلم ، يستند عليه إذا أراد أن يعظ الناس ، فلما صنع المنبر صعد النبى ﷺ على المنبر ، فَحَنَّ الجذع وتَأَوَّهَ لفراق النبى ﷺ ، وسُمِعَ له أنينٌ ، والنبىُّ ﷺ ، فوق المنبر يعظ القوم ، فنزل النبى ﷺ ، من على المنبر ، ولمس الجذع بيده الشريفة ، فسكن . وخاطبه النبى ﷺ ، وخيّره بين أن يرجع إلى بستانه وتعود إليه أغصانه وأوراقه ، أو أن يجعله الله من أشجار الجنة . فنطق الجذع ، واختار أن يكون من أشجار الجنة !..

٣ — انتقال النخلة بجذورها وأغصانها وأوراقها إلى رسول الله ﷺ حينما سأل النبىَّ أَحَدُ الناس أن ينادى على النخلة لتنتقل إليه ، فنادى الرجل على النخلة بأمر النبي ﷺ . فجاءت النخلة من مكانها إلى مكان رسول الله ﷺ ، تشق الأرض شقاً . ولما وصلت إلى النبي ﷺ ، أمرها النبى أن تعود إلى مكانها ، فعادت النخلة إلى مكانها ، والرجل السائل ينظر إلى هذه المعجزة .

٤ — نُطق الضَّبِّ أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(فَفِي ذَاتِ يَوْمٍ كَانَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – يَقِفُ بَيْنَ النَّاسِ لِدَعْوَتِهِمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى . .

فَجَاءَ رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ وَمَعَهُ ضَبٌّ قَدِ اصْطَادَهُ مِنَ الْجَبَلِ .

وَلَمَّا وَجَدَ الرَّجُلُ النَّاسَ حَوْلَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وَعَرَفَ سَبَبَ هٰذا التَّجَمُّعِ ، أَلْقَى الضَّبَّ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، وَقَالَ :

وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى : لَا أُومِنُ بِهٰذَا النَّبِيِّ حَتَّى يُؤْمِنَ بِهِ هٰذا الضَّبُّ ، وَيَشْهَدَ لَهُ بِالرِّسَالَةِ .

فَنَادَى النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – الضَّبَّ ، وَقَالَ : « يَا ضَبُّ . »

فَأَجَابَهُ الضَّبُّ قَائِلًا :

(لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، يَا زَيْنَ مَنْ وَافَى الْقِيَامَةَ !)

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : « مَا تَعْبُدُ يَا ضَبُّ ؟ »

فَقَالَ : (تَعْبُدُونَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ عَرْشُهُ ، وَفِي الْأَرْضِ سُلْطَانُهُ ، وَفِي الْجَنَّةِ رَحْمَتُهُ ، وَفِي النَّارِ عِقَابُهُ) .

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَنَا يَا ضَبُّ ؟ »

فَقَالَ : (أَنْتَ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ . فَازَ مَنْ صَدَّقَكَ وَخَابَ مَنْ كَذَّبَكَ !)

عِنْدَ ذٰلِكَ آمَنَ الأعرابِيُّ بِالنَّبِيِّ ﷺ وبِرِسالَتِهِ .

٥ — نُطْقُ الذِّئْبِ ! .. فَلَقَدْ وَرَدَ أَنَّ راعِيًا كانَ يَرْعَى غَنَمَهُ فِي الصَّحْراءِ ، فَخَطِفَ الذِّئْبُ واحِدَةً مِنْها ، فَاسْتَخْلَصَها الرَّاعِي مِنْ فَمِ الذِّئْبِ .

فَقالَ الذِّئْبُ للرَّاعِي : (حَرامٌ عَلَيْكَ ، أَتَحْرِمُنِي مِنْ رِزْقٍ ساقَهُ اللهُ إِلَيَّ ؟

فقال الرَّاعى : (عَجَبًا ! ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ ؟)

فقالَ الذِّئْبُ : (إِنَّ أَمْرَكَ أَعْجَبُ وَأَعْجَبُ !

أَيُرْسِلُ اللهُ إِلَيْكَ رَسُولًا يَدْعُوكَ إِلَى الْخَيْرِ ، فَتَتْرُكَهُ وتَعِيشَ بَعِيدًا عَنْهُ فِي الصَّحْراءِ ؟)

فقالَ الرَّاعِي : (أَيُّها الذِّئْبُ . إِذا ذَهَبْتُ لِأَسْتَمِعَ إِلَيْهِ ، فَمَنِ الَّذِي يَحْرُسُ الْغَنَمَ ؟) .

فقالَ الذِّئْبُ : (أَنا الَّذِى سَوْفَ أَحْرُسُ الْغَنَمَ !)

فَتَرَكَ الرَّاعِى الْغَنَمَ فِى حِراسَةِ الذِّئْبِ ، وذَهَبَ إِلَى النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم ، واسْتَمَعَ إِلَيْهِ ، وآمَنَ بِرِسالَتِهِ ، وعادَ إِلَى الْغَنَمِ ، فَوَجَدَها مَحْفُوظَةً ، والذِّئْبَ يَحْرُسُها بِأَمْرِ اللهِ تَعالَى !..

فَأَعْطَى الرَّجُلُ الذِّئْبَ واحِدَةً مِنَ الْغَنَمِ ، مُكافَأَةً لَهُ عَلَى أَنَّهُ كانَ سَبَبًا فِى إِسْلامِهِ) .

٦ — من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم : أنه كان لا يسير مع طويل إلا طَالَهُ .

٧ — من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم : البركة فى الطعام ، حتى كان الطعام القليل يكفى الجمع الكثير !..

٨ — نبع الماء من بين أصابعه الشريفة لسقى الناس والحيوانات .

٩ — خروج النبى صلى الله عليه وسلم ليلا من بين الكافرين وهم واقفون له على باب داره ليقتلوه ... ولكنه خرج وهم لا يشعرون !..

١٠ — نسج العنكبوت ، وبيض الحمام ، وإنبات الشجرة على باب غار ثور الذى احتجب فيه النبى وصاحبه أبو بكر فى ليلة الهجرة .

١١ — المسح على عضة الثعبان الذى عضّ أبا بكر فى رجله فى الغار ليلة الهجرة ، فشفى بإذن الله !..

١٢ — امتلاء ضرع شاتين باللبن ، بعد أن لمس الضرعين ، وطلب من الله إدرارهما .. فدرّتا ، وامتلأتا باللبن بأمر الله تعالى !..

١٣ — شفاء عين سيدنا عليّ رضى الله عنه من الرمد ، بلمس النبيّ لها !.. وشفاء ساق مجروح لصاحب من أصحاب رسول الله ، بلمس النبي صلى الله عليه وسلم له !

١٤ — رَدُّ عين قتادة : الصحابى ، الذى خرجت من مكانها وتدلّت على خده في غزوة أحد ، فردها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى مكانها ، وطلب من الله شفاءها .. فعاد إليها نورها ، وشُفيت بأمر الله تعالى ! .

١٥ — ألقى حفنة من التراب على الكفار فى غزوة بدر ، وقال : شاهت الوجوه ، فوصلت إلى عيونهم بأمر الله تعالى ، وكان عددهم يقرب من الألف !..

وورد فيها قول الله تعالى فى سورة الأنفال :

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ .

١٦ — نزول الملائكة مساعدين للنبيّ وأصحابه فى غزوات : بدر والأحزاب ، وحنين ، وغير ذلك .

١٧ — انشقاق القمر فى السماء !..

وهو الذى ورد فيه قول الله ـ جل وعلا ـ فى سورة القمر :

﴿ اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ . وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ . وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ . وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ .

١٨ — الإخبار بالغيب !.. فقد أخبر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بكثير من الغيب ، بإعلام الله له ، إذ الغيب لا يعلمه إلا الله .

١٩ — معجزة الإسراء والمعراج الوارد فيها قول الله تعالى فى سورة الإسراء :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا . إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

والوارد فيها فى سورة النجم :

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى . عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ .

٢٠ — فشل الكفار فى الوصول إلى النبى فى أيام الهجرة حيث لحق به سُراقة بن مالك ، وحاول أن يأسر النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبا بكر ، فأخفق فى ذلك .. وكاد أن يهلك ، لولا إنقاذ النبى صلى الله عليه وسلم له !.

٢١ — معجزة القرآن الكريم الذى أعجز الفصحاء والبلغاء ، فلم يستطيعوا أن يأتوا بآية أو بسورة من مثله . ولقد أخبر القرآن الكريم بكثير من الغيب ، وأصبح معجزة خالدة باقية إلى يوم القيامة .

هذا ، ولقد انتهت المعجزات بانتهاء حياة النبى صلى الله عليه وسلم وانتقاله إلى الرفيق الأعلى ، وأصبحت تعرف بالروايات والأخبار ؛ اللهم إلا معجزة واحدة هى القرآن الكريم لا زالت باقيـة خالدة إلى يوم القيامة !.. ولقد قال الله تعالى عنها فى سورة الإسراء :

﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ . وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ .

وقال الله تعالى عنها فى سورة العنكبوت :

﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

وقال عنها النبى صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ أَدْرَكَ الْقُرْآنَ فَكَأَنَّمَا أَدْرَكَ مُحَمَّدًا » .

٤٨ - مسئولية الرسالة

لقد بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم الرسالة وأدى الأمانة ، ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى ، وترك الرسالة أمانة فى أعناق المسلمين ، وأمرهم أن يعملوا بها أولا ، وأن يبلغوها للناس ثانيًا ، وأن يجاهدوا فى سبيلها إلى يوم القيامة ثالثا . فإن عملوا بها ، وحكموا بها ، ونفذوا حدودها ، وبلغوها لأهل الأرض جميعا ، نجوا من مسئوليتها . وإن لم يعملوا بها ، ويحكموا بها ، وينفذوا حدودها ، ويبلغوها للناس ، عذبوا عذابا أليما لإهمالها . قال تعالى فى سورة الصف :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ، ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٠ و ١١) .

وهؤلاء المسلمون الذين يعيشون فى الأرض الآن نجدهم متفرقين ومتخاذلين ومتأخرين ومتهالكين على الدنيا ، وقد تركوا الجهاد فى سبيل الله !..

لذلك : فهم ليسوا من الناجين إلا قليلا من الصالحين .

٤٩ ـ الجهاد فى سبيل الله

الجهاد فى سبيل الله فرض من فروض الإسلام ، وهو من أهم الفروض . قال عنه القرآن الكريم فى سورة الحجرات :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (١٥) .

وقال عنه النبى صلى الله عليه وسلم ، لما سأله أبو ذر ـ رضى الله عنه ـ فقال له : يا رسول الله : أى الأعمال أفضل ؟

قالَ : « الْإِيمَانُ بِاللهِ ، وَالْجِهادُ فِي سَبِيلِ اللهِ » .

وذلك لأن الرسالةَ نعمةٌ من أجلِّ النعمِ . . وحِفْظُ الله تعالى لها نعمةٌ أخرى من أعظم النعم ، وشكر المنعم على نِعَمِه فرضٌ واجب على جميع المسلمين .

لذلك : أصبح الجهاد فى سبيل الله فرضا من أهم فروض الإسلام بقدر وسع الإنسان . قال تعالى فى سورة البقرة :

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٢٨٦) .

٥٠ — أنواع الجهاد

للجهاد أنواع كثيرة منها :

١ — قتال الكفار إذا اعتـــدوا على المسلمين أو على ديارهم أو طعنوا فى دينهم أو صدوا عن سبيل الله .

٢ — الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بقدر المستطاع .

٣ — حفظ القرآن الكريم وتجويده وتفســيره وتحفيظه ، والتفقه فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، للجهاد بهما فى سبيل الله .

٤ — الدعوة إلى الله — بقدر الإمكان — بالحكمة والموعظة الحسنة .

٥ — التردد على مجالس العلم ومجالسة العلماء والصالحين من المسلمين .

٦ — مقاومة هوى النفس الأمّارة بالسوء .

٧ — التردد على المساجد باستمرار ، وملاحظة الأذان وإقامة الصلاة بها .

٨ — التبرع بما تيسر من المال لإنشاء المساجد والملاجئ والمستشفيات وترميمها وفرشها وحراستها ونظافتها وإدارتها وإنارتها ، والتبرع لتسليح الجيوش المجاهدة فى سبيل الله .

٩ — السعى فى طلب الرزق من الحلال باعتدال ، والتصدق على الفقراء والمساكين .

١٠ — تربية الأولاد والأسرة تربية إسلامية ترضى الله جل وعلا .

١١ — محاربة البدع والمنكرات التى تمس كرامة الإسلام .

١٢ — اعتزال أماكن الفتن والمفتونين حرصا على سلامة الدين .

هذا ، وبالله التوفيق .

٥١ — حكمة الأذان والإقامة

الأذان نداء هين لين ينادى ثلاثة أصناف من الناس ، وهم :

١ — الصنف الأول : الصالحون والصالحات ليؤدوا الصلوات .

٢ — الفاسقون والفاسقات من المسلمين والمسلمات ليتوبوا إلى رب الأرض والسماوات ويؤدوا الصلوات .

٣ — الهاجرون للمساجد من رجال المسلمين ، لينتقلوا إلى المساجد عند حضور ميعاد الصلوات .

٤ — الكافرون والكافرات ليعترفوا بخالق الكائنات ويوحدوا ويقدسوا الذات ، ويعترفوا بخاتم الأنبياء والرسالات .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لَوْ يَعْلَمَ النَّاسُ ما فِي النِّداءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا » .

أما حكمة الإقامة فهو إعلان المصلين للقيام إلى الصلاة .

٥٢ ــ معانى الأذان والإقامة

« الله أكبر » أى الله أكبر من كل كبير وأعظم من كل عظيم يصد عن سبيل الله ، وأعظم من لاوى النفس الذى يبعد الإنسان عن الصلاة .

« أشهد أن لا إله إلا الله » أى أقول بلسانى وأعترف بقلبي أن لا معبود بحق إلا الله .

« أشهد أن محمدًا رسول الله » (ﷺ) أى أقول بلسانى وأعترف بقلبى أن محمداً ﷺ رسول الله : مرسل من عند الله حيث قد ثبت رسالته بالمعجزات .

« حى على الصلاة » أى أقبلوا على الصلاة للاتصال بالله ومناجاة الله .

« حى على الفلاح » أى أقبلوا على ما فيه الفلاح والنجاح .

« الله أكبر . الله أكبر » كما سبق أن قلنا .

« لا إله إلا الله » أى لا معبود بحق إلا الله .

٥٣ ــ العدل بين الدنيا والآخرة

العدل بين الدنيا والآخرة فرض من فروض الإسلام ، فمن لم يعدل بين الدنيا والآخرة ، فقد أصبح من الآثمين .

وقد قال ذلك رب العالمين فى سورة التوبة :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢٤) .

وقال تعالى فى سورة النازعات :

﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى . وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى . وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (٣٧ — ٤١) .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا ،

إِلَّا ذِكْرَ اللهِ وَمَا وَالَاهُ ، وَعَالِمًا وَمُتَعَلِّمًا » .

وبناء على نصوص القرآن الكريم ، وهدى النبى الأمين ﷺ فمن ركن للدنيا وترك الدين فهو من الملعونين ومن الفاسقين ومن أهل النار .

٥٤ ـ السعى فى طلب الرزق

السعى فى طلب الرزق فرض من فروض الإســلام للمحتاج إليه والقادر عليه ، فمن تركه أو عطله كان من العاصين .

قال تعالى فى سورة الملك :

﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١٥) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ ،

فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ ، فَيَبِيعَهَا ،

فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ ،

خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ :

أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ » .

٥٥ ـ إتقان العمل

إتقان العمل فرض من فروض الإسلام ، سواء كان وظيفة أو تجارة أو صناعة أو زراعة ، وعدم الإتقان معصية فى الإسلام . .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ » .

٥٦ – حكم الشحاذة فى الإسلام

الشحاذة فى الإسلام لا تجوز أبداً إلا لمرض يمنع من العمل ، أو لعسر شديد ، أو لعدم وجود أى عمل يرتزق منه الإنسان ؛ وفى هذه الحالة يسأل الإنسان قوت يوم بيوم ، إلى أن يغير الله الحال غير الحال .

وفى القرآن الكريم والسنة النبوية حث على العمل وعدم السؤال .

قال صلى الله عليه وسلم :

« الْيَدُ الْعُلْيا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ » .

وقال تعالى فى سورة التوبة :

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾(١٠٥) .

٥٧ – التوكل على الله

التوكل على الله هو أن يفوض الإنسان آماله وأحواله لله ، وهو واجب على كل مسلم ، وعلى الإنسان أن يأخذ بالأسباب ، لأن الله تعالى جعل لكل شىء سببا . .

ولقد أمرنا الله تعالى أن نتمسك بالأسباب لنصل إلى المسببات .

والتوكل فى هذه الحالة أن يتوكل الإنسان على الله مسبب الأسباب ، ولا يتوكل على هذه الأسباب .

قال تعالى فى سورة الفرقان :

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ . وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾ (٥٨) .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم :

« لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ التَّوَكُّلِ ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ : تَغْدُو خِماصًا وَتَرُوحُ بِطانًا » .

٥٨ – الملابس فى الإسلام

الملابس فى الإسلام جاءت فى قول الله تبارك وتعالى فى سورة الأعراف :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ، وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ، ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ . يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ، إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ، إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٧) .

وفى هذا النص الكريم يبين الله تبارك وتعالى أنه خلق الملابس القطنية والصوفية والحريرية والكتانية وغير ذلك لستر العورات التى فى جسم الإنسان وتزيين الجسم ووقايته من الحر والبرد .

وفى الجسم عورات وسوآت ، فالقبل عورة ، والدبر عورة ، والإليتان عورة ، والفخذان عورة ، وجسم المرأة كله عورة — اللهم إلا الوجه والكفين إذا أمنت الفتنة .

والملابس الإسلامية هى التى تستر هذه العورات ، ولا تحدد أحجامها .

وقد كان المسلمون يرتدون الملابس الإسلامية رجالا ونساء ، ولكن لما غزا الكافرون ديار المسلمين ، وسيطروا على الحريات ، وسيطروا أيضا على المدارس والجامعات ، ودور الصناعات والشركات والتجارات ، قرروا ألا يصل إنسان للتعليم أو طرق الارتزاق إلا إذا نزع الملابس الإسلامية ولبس الملابس الإفرنجية ، فاضطر المسلمون لنزع ملابسهم الإسلامية ولبس الملابس الإفرنجية ، فتغيرت الأزياء من إسلامية إلى إفرنجية . وللإسلام علاج لهذه الملابس الإفرنجية ، وهو ألا يجعلها الإنسان قصيرة ولا ضيقة مفصلة للعورات ، وألا يلبسها إلا فى أوقات الضرورة ، حتى إذا مضى وقت الضرورة نزعها المسلم واستبدلها بالملابس الإسلامية .

هذا : والملابس الإسلامية نوع من العبادة ، ونوع من التقوى . .

ولذلك يقول الله جل وعلا فى القرآن الكريم فى سورة الأعراف :

﴿ ... وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (٢٦) .

وكما أن الملابس الإسلامية نوع من التقوى ، فالملابس الفاتنة نوع من المعصية ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« صِنْفانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُما :

رِجالٌ بِأَيْدِيهِمْ سِياطٌ كَأَذْنابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِها النَّاسَ ، وَنِساءٌ كاسِياتٌ عارِياتٌ مائِلاتٌ مُمِيلاتٌ ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمائِلَةِ ، لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلا يَجِدْنَ رِيحَها .

وَإِنَّ رِيحَها لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذا وَكَذا » .

فعلى المسلم والمسلمة إصلاح ملابسهما حتى تصبح إسلامية ، وعند ذلك يرضى عنهما رب البرية .

ومن الأسف أن الملابس الإفرنجية الفاتنة أصبحت علامة يستدلون بها على التعليم والرقى والحضارة ، فحرص الناس على ارتدائها ، فاختلط الحابل بالنابل ، وأصبحنا لا نستطيع أن نميز بين المسلم والكافر ، ولا بين المسلمة والكافرة فى الشارع .

فنسأل الله تعالى أن يلطف بنا . وأن يهدينا سواء السبيل .

٥٩ — إعفاء اللحية فرض فى الإسلام

تربية اللحية فرض فى الإسلام لأن الله تبارك وتعالى خلقها لفوائد، أهمها ما يأتى :

(١) حماية الرجولة بستر نضارة الوجه حتى لا يشتهى من اللوّاطين .

(٢) علامة ظاهرة من علامات الذكورة .

(٣) تمييز المؤمنين من الكافرين فى الطرقات والمجتمعات .

(٤) حماية الوجه من ضربات الحر والبرد .

(٥) كسب الثواب .

لهذا ؛ حرم الإسلام حلق اللحية ، وكل المذاهب حرمت حلق اللحية ، ومن الحرام تقصيرها قبل أن تكون قبضة كقبضة اليد . وكان الأولون من المسلمين يحرصون على تربيتها .

أما فى هذه الأيام ، فقد عزف كثير من الناس عنها ، وحلقها أكثر المسلمين ، فأصبحوا عصاة مذنبين حتى يتوبوا إلى رب العالمين .

٦٠ — التعليم فى الإسلام

الإسلام يحب العلم ويدعو إليه، ويحرم الجهل ويحذر منه .

قال الله تعالى فى سورة الزمر :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ؛ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (٩) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

﴿ كُنْ عَالِمًا ، أَوْ مُتَعَلِّمًا . وَلَا تَكُنِ الثَّالِثَةَ فَتَهْلِكَ ﴾ .

والعلوم نوعان : علوم دنيوية كعلم الطب والهندسة ، وعلوم دينية كعلم تفسير القرآن الكريم ، وعلم الحديث الشريف ، وما يتبعهما من أحكام شرعية .

فالعلوم الدنيوية تعليمها فرض كفاية على المسلمين ، فمتى تعلمها طائفة منهم للمحافظة بها على صلاح الدنيا سقط الفرض عن الباقين . والعلوم الدينية الإسلامية ، فالضرورى منها فرض عين على كل مسلم ومسلمة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« طَلَبُ الْعِلْمِ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ » .

وذلك كمعرفة الله تعـالى ، وأحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج ومعرفة الحلال والحرام .

أما التوسع فى العلوم الشرعية الإسلامية فهو فرض كفاية على طائفة من المسـلمين بحيث لو فعله بعض المسلمين لسـقط الفرض عن الباقين وذلك كحفظ القرآن الـكريم وتجويده وتفسيره ، وحفظ بعض أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسـلم وتفسيرها ، والتوسع فى علم التوحيد ، وغير ذلك .

قال الله تعالى تأييداً لذلك فى سورة التوبة :

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١٢٢) .

٦١ ـ اختلاط الرجال بالنساء

اختلاط الرجال بالنساء بالنسبة للمحارم ـ كاختلاط الرجل بأمه وبناته وأخواته وعماته وخالاته ـ لا شيء فيـــه فى الإســلام ما دام بنظام الشريعة .

أما اختلاط الرجال بالنساء بالنسبة لغير المحارم ، فهذا غير جائز ، إلا فى حدود ضيقة ، وذلك كالاختلاط فى الحج ولـكن مع الاحتراس ، ومراعاة آداب الإسلام .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَا اجْتَمَعَ رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ إِلَّا كَانَ الشَّيْطَانُ ثَالِثَهُمَا » .

هذا ، ولو رجعنا إلى ما يفعله المسلمون الآن من اختلاط الجنسين في الوظائف والشركات والصناعات والتجارات والمواصلات ، لوجدنا أن ذلك منكر لا يرضى الله ورسوله .

قال تعالى في سورة الأحزاب :

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ . ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ (٥٣) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ » . قَالُوا : يا رَسُولَ اللهِ : أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ ؟ قَالَ : « الْحَمْوُ : الْمَوْتُ » .

أما خلوة الرجل بالأجنبية عنه ، فهو من كبائر الذنوب ، فلا يصح من المسلم أن يختلي بامرأة أجنبية أو بابنة عمه أو بابنة خاله ، أو بابنة خالته ، ولو اضطر المسلم إلى ذلك يجب عليه أن يفتح أبواب المسكن وشبابيكه حتى لا يختلي بامرأة يحل له زواجها .

وعلى المسلم ألا يسمح لأخيه بالخلوة بزوجته ، ولا يسمح للأقارب بالخلوة بأمه وأخواته وبناته ، ولا يخشى في ذلك لومة لائم .

٦٢ – الزواج فى الإسلام

شرع الله الزواج فى الإسلام ، وجعله فرضاً من فروض الدين عند القدرة عليه . إذ به تحفظ الشهوة البهيمية من العبث ، وتحفظ الأعراض والأرواح والأموال والأنساب ، ويكثر بسببه عدد المؤمنين الموحِّدين وتزيد به الألفة والمحبة والترابط والمودة بين الناس ، أما إذا لم يكن هناك قدرة عليه ، لشدة فقر أو لعدم قدرة على الجماع أو غير ذلك ، فإنه لا يصبح فرضاً ، بل يكون سنة أو مباحاً أو مكروهاً أو حراماً .

وإذا نظرنا إلى حالة الإنسان إجمالا ، وجدنا أن للناس قدرة على الزواج ، إلا القليل النادر منهم .. ولذلك فالزواج فرض عليهم جميعاً ، إلا هذا القليل النادر ، الذى قد يقل عن ١٪ من الناس .

ولقد ابتلى هذا الإسلام بأناس مارقين يقولون فى كتاب الله ما لا يعلمون . وفى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يفهمون يتشدقون ويفتون بما لا يعلمون ، فيضللون الشباب ، ويصدونهم عن الزواج ويدعونهم إلى تعطيل سنة الحياة .

وقد عرضوا أنفسهم لغضب الله وعذابه بهذه الفتاوى الجائرة .

الزواج أمر اختيارى قبل سن البلوغ ، أما بعد سن البلوغ فيصبح إجباريا ، حرصاً على التناسل والأعراض والأموال ، والأوقات والتعاون والتراحم ، وذلك متى كان الإنسان مستطيعاً له .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف :

« مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ،
فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ .
وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ » .

وقال أيضا : « مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ أَحْرَزَ شَطْرَ دِينِهِ ، فَلْيَتَّقِ اللهَ فِي الشَّطْرِ الْآخَرِ » .

وقال : « إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَأَمَانَتَهُ فَزَوِّجُوهُ ، إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ . . . »

هذا والاستطاعة الشرعية هى : القوت الضرورى ، واللباس الضرورى الذى يستر العورات ، والسكن الضرورى الذى يسكنه الإنسان المتواضع فيستره عن أعين الناس .

ولقد جعل الله تعالى للبلوغ علامات فى البنين ، والبنات ، لتنقطع حجة الإنسان ، فمتى ظهرت علامات البلوغ على البنين والبنات ، وجب السعى إلى زواجهم .

فإذا ترك الإنسان الزواج أو أخَّره أو عطله ، فقد أصبح من العاصين ومن الآثمين ، إذا لم يكن هناك عذر شرعى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« شِرَارُكُمْ عُزَّابُكُمْ ، وَأَرَاذِلُ مَوْتَاكُمْ عُزَّابُكُمْ » .

أما الأعذار التى يتشدق بها الناس ويفتون بها فى هذا الزمن بالترك أو التأخير ، لجمع أموال طائلة ، أو تجهيز جهاز فاخر ، أو بناء مسكن أو نيل شهادة دراسية أو شراء أطيان زراعية ، فهذه كلها أعذار مردودة عليهم ، وليست مقبولة منهم ، وسوف يحاسبون بين يدى الله تعالى على ترك الزواج أو تأخيره بدون عذر شرعى .

والإسلام الذى ندين به يفرض على الحكام وأولياء الأمور متى بلغ الولد سن الرشد أن يسعوا جميعاً متعاونين فى إيجاد عمل للولد يرتزق منه ، ثم يُزوجوه . وإن كان يريد الولد بعد ذلك أن يواصل التعليم فلا مانع بعد الزواج ، وبذلك يدرك الإنسان الدنيا والدين ، ولا يكون فى الأرض من المفسدين .

فعلى المسلم أن يتوب إلى الله تعالى ، وأن يتغلب على جميع البدع المنكرة التى حالت بين الناس وبين الزواج ، ومنها المغالاة فى المهور ، والمغالاة فى الجهاز ، والمغالاة فى السكن ، والتبذير فى إقامة الحفلات والسرادقات ! .

ومن المنكرات التأخير بسبب نيل شهادة دراسية ، أو وظيفة حكومية .

وذلك لأن الولد والبنت كثمرة نضجت على الشجرة .. فلقد أنضج الله الثمرة على الشجرة لتقطف وينتفع بها .

فإذا لم تقطف الثمرة التى نضجت على الشجرة ، ذبلت وسقطت ، ونقرتها العصافير أو تسربت إليها الغربان والفئران ! .

هذا هو حال الولد والبنت إذا أعرضا عن الزواج .

والمسئول عن ذلك أمام الله تعالى هم : الحكام ، وأولياء الأمور ، والعريس والعروس ، وكل من تسبب فى التأخير ! . .

وكما أن الإسلام يدعو الشباب للزواج بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ : مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ » .

فهو يدعو الكبار أيضاً للزواج بقوله فى حديث آخر :

« مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ » .

منادياً جميع المسلمين إلى الزواج : شباباً وشيوخاً ، ورجالا ونساء ، وذلك لأن الزواج حصن للجميع من الجهالة والفسوق والانحراف .

لذلك يجب على الكبار الحرص أيضاً على الزواج قبل لقاء الله ، للحديث السابق القائل :

« شِرَارُكُمْ عُزَّابُكُمْ وَأَرَاذِلُ مَوْتَاكُمْ عُزَّابُكُمْ » . .

وعلى الأولاد مساعدة الآباء والأمهات فى الوصول إلى الزواج ، فى حال الحاجة إليه ، صونا لهم وحرصاً عليهم ورحمة بهم إلى آخر حياتهم .

ولقد قال بعض الصالحين : (لو عرفت أننى سوف أموت غداً ، لتزوجت اليوم حتى لا أقابل ربى أعزبا) .

وأسأل الله أن يهدى الناس إلى ما يحبه ويرضاه .

٦٣ — تعدد الزوجات فى الإسلام وحكمته

الإسلام الذى أنزله العليم الحكيم يُبيح للرجال تعدد الزوجات من واحدة إلى أربع زوجات ، بشرط مراعاة العدل ، والقدرة على النفقة ، وذلك للأسباب الآتية :

١ — قد يقتل كثير من الرجال فى الحروب ، فترمل النساء ، فتأتى حكمة تعدد الزوجات لإنقاذ الأرامل من النساء .

٢ — قد تكون المرأة عاقرا لا تلد ، فتعدد الزوجات يحمى الرجال من الحرمان من النسل .

٣ — قد تكون المرأة مريضة أو هزيلة ، لا تستطيع القيام بمطالب الحياة الزوجية ، فيأتى التعدد للإنقاذ من ذلك .

٤ — قد يضطر الرجل أن يعيش فترة من الزمن فى أقطار بعيدة عن زوجته ، فيأتى التعدد منقذاً للرجل من الوقوع فى جريمة الزنا .

٥ ـــ قد تسوء أخلاق المرأة وتستهزئ بزوجها . فيؤدبها الإسلام بزوجة أخرى شريكة لها فى الحياة الزوجية .

٦ـــ قد تنجب المرأة أطفالا ويموت عائلهم، ولا تستطيع الأم تربية الأطفال والنفقة عليهم، فيأتى التعدّد منقذاً للأطفال من الضياع عن طريق أعمامهم أو أحد أقاربهم أو أحد الصالحين من الرجال .

٧ ـــ قد يفتن الرجل بفتـــاة أو بامرأة ، أو تفتن الفتاة بشاب أو برجل فتنـــة تحتم عليهم المعاشرة ، فيأتى تعدد الزوجات حافظاً لهم من الوقوع فى الحرام .

٦٤ ـ التحذير من التقليد الأعمى والبدع

الإسلام يحذر من التقليد الأعمى، وهو مجاراةُ الناسِ فى معتقداتهم وفى أقوالهم وأفعالهم ، دون الرجوع إلى نور العقل الذى وهبه الله تعالى للإنسان ، ودون الرجوع إلى نور الإسلام الذى وهبه الله تعالى للإنسان .

وفى ذلك يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ فى سورة الأنعام :

﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ . إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ .

لهذا أصبح الميزان الســـليم للإنسان هو اتباع نور العقل ونور الإسلام ؛ فمن سار على هذين النورين اتبعناه ، ومن حاد عن هذين

النورين اجتنبناه .. ولذلك يحتج الله تعالى على النـاس الذين يقلدون غيرهم ، ولم يقفوا عند نور العقل ونور الشريعة ، ويخاطبهم يوم القيامة كما ورد فى سورة يس :

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ . إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . وَأَنِ اعْبُدُونِي . هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ . وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا . أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ . هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ . اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ .

٦٥ — بدع الأفراح

بدع الأفراح الآن كثيرة ، منها :

١ — ترك الزواج أو تأخيره بدون سبب شرعى .

٢ — الزواج من أهـل المـال والجمـال ، والحسب والنسب ، وترك أهل الدين والتقوى .

٣ — المغالاة فى الشبكة وفى المهور فوق طاقة الإنسان .

٤ — المغالاة فى الجهاز حتى إن العروس لا تدخل على عريسها إلا بفرش ثلاث حجرات وأكثر .

٥ — أن يتكلف أهـل العروس مالًا فوق طاقتهم .

٦ — تأخير الزفاف سنين متعددة حتى يتم جمع المهر ، ويتم الجهاز الفاخر ، ويتم الاستعداد لحفل الفرح ببذخ وتبذير ! وقد تنتشر الفتن — فى أثنـــاء ذلك — فيفسد بين الطرفين المفســدون والمفسدات ، والحاسدون والحاسدات .

٧ — إقامة السرادقات والحفـلات المـاجنة فيها بمعرفة المطربين والمطربات ، والراقصين والراقصات ، والمبذرين والمبذرات .

٨ — دق الطبول والعزف بالمزامير ليحضر إلى الحفـل المـارقون والمـائلون والحاقدون والحاسدون .

٩ — التبرع للعازفين والمغنين والمطربين والمطربات بعـــديد من الجنيهات ، والإعلان عن ذلك بمكبرات الصوت بقصد الظهور والخيلاء .

١٠ — إطلاق الأعيرة النارية المروّعة والمفزعة بقصد الافتخار .

وقد قال النبي — صلى الله عليه وسلم — عن ذلك وغيره :

« مَلْعُونٌ مَنْ رَوَّعَ مُسْلِمًا » .

١١ — التغالى فى وقت الحفـل حتى قد يستغرق الليـل كله ، مع الحرص على الغناء الماجن ، وإقلاق راحة المرضى والمجهدين .

١٢ — شرب الدخان والحشيش والخمور فى هذه الحفلات الماجنة .

١٣ — زغاريد النساء ، وهى حرام فى الإسلام .

١٤ — اختلاط الرجال بالنساء المائلات والعاريات ، والإسلام يحرّم ذلك ، ويقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم :

« مَا اُجْتَمَعَ رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ إِلَّا وَكَانَ الشَّيْطَانُ ثَالِثَهُمَا » .

١٥ — الذهاب إلى الكوافير (الحلاّق) لتجميل الفتيات ، وقص بعض شعر الرأس ، مع أن قص بعض الشعر للمرأة حرام بدون عذر شرعى ، ومع أن لمس الحلاّق للسيدات غير جائز شرعاً .

١٦ — الحـــرص على التقاط صور للنساء العاريات ، مختلطات بالرجال الأجانب .

١٧ — الطواف بالجهاز فى الشوارع والطرقات بقصـد الافتخار .

١٨ — زفة العروسين فى الشوارع مع اختلاط الجنسين .

١٩ — التبذير فى تقديم الأطعمة والمشروبات فوق طاقة الإنسان .

٢٠ — فض بكارة البنت بالإصبع علناً أمام الناس بمعرفة العريس ، أو بمعرفة أى امرأة أجنبية .

٢١ — المرور بقطع القماش ملوثة بدم بكارة البنت ، لإعلان الناس أنها كانت قبل الزواج شريفة وطاهرة .

هذا كثير مما يحصل فى زواج البنين والبنات والرجال والسيدات .

ومن أجل هذه المنكرات يغضب على هؤلاء الناس رب الأرض والسماوات .

وقد نشأ من ذلك بوار البنين والبنات والرجال والسيدات ، وأصبح الإسلام ينادى على الإنسان العاقل قائلا :

أيها الإنسان العاقل : قد وهب الله تبارك وتعالى الفتيان رزقاً للفتيات ، ووهب الفتيات رزقاً للفتيان ، ووهب السيدات رزقا للرجال ، ووهب الرجال رزقاً للسيدات ، فما الذى منع هذا الرزق من الوصول للمرزوق ؟ حتى أصبحنا نرى أن كثيراً من الشباب عاشوا محرومين من الزواج ، ونرى كثيراً من الفتيات عِشْنَ محرومات من الزواج ، ونرى كثيراً من الرجال محرومين ، وكثيراً من السيدات عِشْنَ محرومات ! إن الذى سبب ذلك هى هذه البدع المنكرة !

ولِمَا ذُكِرَ ، أصبح فرح المسلم إذا نهج هذا النهج أجرم فرح يقام فى هذه الأرض . فنسألك : يا رب العالمين أن ترد الناس إلى طهارة الإسلام ، إنك على كل شىء قدير ، وبالإجابة جدير ، والحمد لله رب العالمين .

٦٦ – بدع المآتم

من بدع المآتم المنكرة فى الإسلام ما يأتى :

١ – صراخ النساء عند الوفاة ، ولطم الخدود ، وشق الجيوب ، والدعاء بدعوى الجاهلية .

وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فقال :

« لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ ، وَدَعَى بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ »

٢ – ترك قراءة يس عند المحتضر ، لتخفيف سكرات الموت عليه .

وفى ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اِقْرَؤُوا عَلَى مَوْتَاكُمْ يس »

٣ – إحضار الجاهلين والجاهلات بجانب المحتضر ، ونسيان الصالحين والصالحات ! ..

٤ – ترك تلقين الميت الشهادتين

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

﴿ لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ ﴾ .

٥ – تأخير دفن الجثة !.. مع أن الإسلام أوصى بسرعة دفنها .

٦ — نقل الجثة إلى بلد آخر غير الذى مات فيه !..

مع أن السنة تأمر بدفن الميت فى البلد الذى مات فيه الإنسان .

٧ — المغالاة فى الكفن !.. والسنة تحرم ذلك ، وتأمر بأن يكون الكفن ثلاثة أثواب بيض ، ليس فيها حرير .

ولا مغالاة بالنسبة للرجال والنساء .

٨ — الذبح تحت النعش !.. فهو بدعة نهى عنها الإسلام ، لأنها تبذير وإسراف .

٩ — إقامة السرادقات والمغالاة فى الحفلات بتوزيع السجاير والقهوة والشاى ، ولا سيما إذا كانت من أموال الأرامل واليتامى والمساكين !

١٠ — نصب الميكروفونات لإذاعة القرآن من القارئين والقارئات !

١١ — الجلوس للتعزية ـ وقد كان المسلمون يعتبرون الجلوس للتعزية فى عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من البدع ..

وكانت التعزية قاصرة فى عهده على تشييع الجنازة والدفن ، إلا لغائب أو مسافر .

١٢ — تقديم طعام للمعزين ، مع أن السنة هى تقديم طعام لأهل الميت .

١٣ — تلقين الميت عقب الدفن . والسنة : الدعاء له فحسب .

فالله تعالى - يثبت الصالحين ولو بغير تلقين ، ويضل الله الظالمين . كما قال رب العالمين فى سورة إبراهيم :

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ .

١٤ — الجلوس للتعزية فى الخميس والأربعين والميعاد !..

فهذا منهيٌّ عنه لأنه تجديد للأحزان ، وهو من عادات الفراعنة .

١٥ — نسيان الموتى بعد رحيلهم من الدنيا ، وعدم مواصلة الدعوات والصدقات والقراءات لهم !.. إذ يجب أن يكون ذلك متصلا ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ ، انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ :
صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ . أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ .
أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » .

١٦ — ذهاب النساء للمقابر سافرات ، لتوزيع الصدقات ، وإقراء القرآن ! ..

والواجب عدم ذهاب النساء بهذا الوصف . ولا بأس من توزيع الصدقات فى أى مكان ، ولو كان بعيدا عن المقابر .

١٧ — زيارة المقـــابر فى الأعياد ! . . إذ الأعياد أيام سرور ، فيجب ألا نضيع السرور فيها بهذه الزيارات .

١٨ — الدفن فى التوابيت !.. إلا للأجساد البالية ، من الْحَرق ومن الغرق مثلا .

١٩ — بياض وزخرفة القبور !.. فهذا منهىٌّ عنه فى الإسلام .

٢٠ — نثر الورود والرياحين على القبور !.. فهذا من البدع .

٢١ — وضع الصَّبَّار وفروع الأشجار على القبور !.. فهذا لا فائدة فيه للموتى .

٦٧ — حكمة الطلاق فى الإسلام

الإسلام يُبيح الطلاق فى حالة الضرورة ، ويحذر منه فى غير الضرورة ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللهِ الطَّلَاقُ » .

هذا ، وللإسلام حِكَم فى إباحة الطلاق ، منها :

١ – حماية الأرواح ، فقد يكره الرجل زوجته كرها شديدا يستحيل معه استمرار المعاشرة .. فيأمره الإسـلام بطلاقها ، ويحذره من إضرارها .

وقد يكون الـكره من جانب المرأة .. فتأمرها الشريعة الإسلامية بطلبِ الطلاق منه ، وتحذرها من الاعتداء .

٢ — قد يثبت خيانة المرأة فى العرض أو فى المال . وعند ذلك تتعذر الحياة الزوجية ، فيأمر الإسلام بالطلاق ، لأن الأمانة أول شرط من شروط قيام الزوجية .

٣ — قد يمرض الرجل ويصل إلى حالة تعوقه عن الإنفاق أو القيام بواجب الزوجية . وعند ذلك يُبيح الإسلام الطلاق ، حرصا على النفوس من الجوع والعرى ، وحرصا على الأعراض من الضياع .

٤ — قد يـكفر أحد الزوجين بالله ، ويخرج من الإسلام إلى الـكفر ؛ فيأمر الإسلام بالطلاق والتفرقة بينهما .

هـــذا ، وقد جعل الله الطلاق بيد الرجل ؛ لأنه أقوى إيمانا ، وأكثر صبرا وحلما ، وأوسع حكمة .

٦٨ – أمانات فى الإسلام يجب شكر الله عليها

لقد اعتبر الإسلام نعم الله أمانات من الله عند الناس . .

قال تعالى فى سورة النساء :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ .

فالحياة أمانة ، والعقل أمانة ، والسمع أمانة ، والبصر أمانة ، والصحة أمانة ، والوقت أمانة ، والمال أمانة ، والعلم أمانة ، ورسالة النبى – صلى الله عليه وسلم – أمانة ، والأولاد أمانة ، والزوجة أمانة ، والزوج أمانة ، وأرواح الناس وأعراضهم وأموالهم أمانات .

ولقد أمرنا الله تبارك وتعالى أن نستخدم هذه النعم فى الخير ، وفيما خُلِقت من أجله ، وأن نحافظ على أمانات الناس ، وبذلك نكون قد أدّينا الأماناتِ التى وُهِبت لنا .

هذا ، ولما كانت الملائكة والحيوانات والطيور والنباتات والجمادات قد أدت ما خلقت من أجله ، والإنسان لم يؤد ما وجب عليه نحو هذه الأمانات ، فقد قال الله تعالى عن ذلك فى سورة الأحزاب :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ :

عَنْ عُمْرِهِ : فِيمَا أَفْنَـاهُ ؟! وَعَنْ شَبَابِهِ : فِيمَا أَبْلَاهُ ؟!

وَعَنْ مَالِهِ : مِنْ أَيْنَ اكْتَسَـبَهُ ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟ !

وَعَنْ عِلْمِـهِ : فِيمَـا عَمِلَ فِيهِ ؟ ! »

وقال تعالى فى سورة التـكاثر :

﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ (٨) .

ويجب على الإنسان أن يشـكر الله تعالى على هـذه الأمانات ها ، وذلك بألا يستخدم النعمة إلا فيا خلقت من أجله ، وفيما يُرضى تعالى ، وبذلك يصبح الإنسان من الشاكرين .

والشـكر فرض من فروض الإسلام .

قال تعالى فى سورة الزمر :

﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٦٦) .

٦٩ – الأعمال بالنيات

تنقسم الأعمال التى يعملها الإنسان إلى قسمين :

١ – أعمال العبادات : كالصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، وهذه تحتاج إلى نية ، لينال الإنسان ثواباً عليها .

٢ – أعمال العادات ، كالأكل والشرب والنوم والجماع والسعى فى طلب الرزق وتربية الأولاد . وهذه أيضاً تحتاج إلى نية ، لينال الإنسان ثوابا عليها .

والنية تميز عمل المؤمن من عمل الكافر : فالمؤمن يعمل العمل لوجه الله خالصا ، والكافر يعمل العمل لمن لم يخلق ولم يرزق ، ولا يستطيع أن يعطى ولا أن يمنع !

وقد قال الله تعالى عن ذلك فى سورة الليل :

﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى . وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ (١٩/٢١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى . فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ . وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » .

فكما أن للبنيان أساسا حتى لا ينهار ، فكذلك للعمل أساس حتى يقبله الله تعالى ويثيب عليه . وأساس العمل أن تكون النية خالصة لوجه الله تعالى ، بحيث تكون بعيدة عن الرياء والأغراض الدنيوية والشهوات النفسانية .

فمتى نوى الإنسان عمل الخير ، كتبت له الملائكة حسنة فى صحيفة العمل بسبب هذه النية !.. فإذا نفذ الإنسان هذه النية وعمل هذا العمل ، كتبت له الملائكة على العمل عشر حسنات ، أو أضعاف ذلك ، على حسب إخلاصه فى هذا العمل !..

وإذا نوى الإنسان عمل الشر ولم يعمله ، كتبت له الملائكة حسنة في صحيفته . فإذا نفذ الإنسان هذه النية وعمل هذا العمل ، كتبت له الملائكة سيئة تتناسب مع الضرر الذي سوف ينتج من هذا العمل .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه البخارى رضى الله عنه :

« إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَٰلِكَ . فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا ، كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً !

فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا ، كَتَبَهَا اللَّهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ ، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ . . إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ !..

وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا ، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً .

فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عَلَيْهِ سَيِّئَةً وَاحِدَةً » .

والنية محلها القلب ، وهى عمل من أعمال القلب . وهى عبارة عن عزم القلب وتصميمه على فعل الشيء .

والجهر بها عند إقام الصلاة لم يُؤْثَر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولذلك فإن الجهر بها ينقص ثواب المسلم .

٧٠ – شرب الدخان

وتعاطى المسكرات والمخدرات

الدخان وما شابهه من حشيش وأفيون وخمور أصناف حرمها الله تعالى بعدة نصوص فى القرآن الكريم وهدى النبي الأمين صلى الله عليه وسلم .

ومن هذه النصوص قول الله تعالى فى سورة الأعراف :

﴿ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ (١٥٧) .

وقوله تعالى فى سورة الإسراء :

﴿ ... وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا . إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ (٢٦-٢٧) .

وقوله تعالى فى سورة الأعراف :

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ .

وقوله تعالى فى سورة البقرة :

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا . إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

وقوله تعالى فى سورة المائدة :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا . فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ .

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لَا ضَرَرَ ، وَلَا ضِرَارَ » .

ولا شك أن كل هذه الأصناف : من الخبائث ، وليست من الطيبات ؛ إذ أن معنى الخبائث : الأصناف التي تضرّ الصحة أو تُضَيِّع المال .

والصحة أمانة ، والمال أمانة ، والوقت أمانة ، والعقل أمانة ، والدين يجمع ذلك كله .

وهذه المهلكات تضيع هذه الأمانات .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول فى الحديث الشريف :

« لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ :
عَنْ عُمُرِهِ : فِيمَا أَفْنَاهُ ؟! وَعَنْ شَبَابِهِ : فِيمَا أَبْلَاهُ ؟!
وَعَنْ مَالِهِ : مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟!
وَعَنْ عِلْمِهِ : فِيمَا عَمِلَ فِيهِ ؟! »

وهذه المهلكات قد يترتب عليها ضياع الأرواح ، أو ضياع الأعراض أو ضياع الأموال ، أو ضياع الأوقات ، أو التقصير فى واجب الوالدين والزوجة والأولاد ، واليتامى والأرامل والمساكين ، والضيوف . وكثيرًا ما ينتج منها التقصير فى الجهاد فى سبيل الله .

وقد سئل عالم عن حكم الدخان فى الإسلام : هل هو حرام أم مكروه ، أو مباح ؟ فأتى بورقة من ذات الجنيه وأشعل فى طرفها النار !.. فأطفأها الناس ، وقالوا له : حرام عليك أيها العالم أن تحرق

جنيهاً ينفعنا فى مصالح هذه الحياة ! فقال للناس : إذا كنتم قد قررتم أن حرق الجنيه حرام ، فما بالكم بمن يحرق عدة جنيهات ، ويحرق صحته ويضيع نظير ذلك فروضًا واجبة عليه ؟!

عند ذلك حكم الحاضرون بحرمة شرب الدخان . وواجب الحكام نحو هذه السموم القاتلة أن يحاربوها ، وألا يجيزوا تعاطيها أو زراعتها أو صناعتها أو الاتجار بها ، لأنهم مسئولون عن الأمة أمام الله .

وعلى الناس أن يتجنبوا كل هذه المهلكات .

وقد ثبت من الطب أن الدخان وحده كثيراً ما تنشأ منه أمراض خبيثة . منها : الشلل ، وسرطان الرئة والحنجرة ، والسل الرئوى ، والذبحة الصدرية ، والسكتة القلبية ، وانفجار الشرايين ، وضغط الدم ، وقرحة المعدة ، وتغيير رائحة الفم من رائحة طيبة إلى رائحة خبيثة ، وتغيير منظر الإنسان من منظر حسن إلى منظر قبيح ، وزيادة على ذلك : ضياع المال ..!

زد على ذلك أيضا أن كل سيجارة تنقص من العمر ما يقرب من خمس دقائق حيث قرر الطب ذلك .

ولو أن الحكام والمحكومين يقاومون كل هذه السموم القاتلة لأقاموا بأثمانها الصناعات والتجارات والشركات ، وقضوا بذلك على

البطالة ، فأنقذوا النفوس ؛ وبذلك يرضى عنهم رب العالمين القائل في سورة آل عمران :

﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

هذا وليس فى تعاطى هذه الأصناف إلا الحرمة المؤكدة الصريحة من كتاب الله ، وهَدْى رسول الله .

وجميع أصناف الدخان من سجاير ، وجوزة ، وشيشة ، وبيبة ، ومدغة ، ونشوق ، من المحرمات .

٧١ ـ تحديد النسل فى الإسلام

تحديد النسل لا يُبيحه الإسلام ، ولقد حذر منه القرآن الكريم بقوله تعالى فى سورة الإسراء :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ، إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ .

وقال تعالى أيضا فى سورة الأنعام :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ .

والمعنى : لا تقتلوا أولادكم فى حال وجود الفقر ، ولا فى حال توقعه . .

ونهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله :

« تَنَاكَحُوا تَنَاسَلُوا تَكْثُرُوا ،

فَإِنِّى مُبَاهٍ بِكُمُ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وتحديد النسل فى بلاد الإسلام لم يظهر بين المسلمين إلا على أثر خدعة ودسائس من الكافرين ، فلقد بثّ الكافرون سمومهم فى ديار المسلمين ، وزينوا لهم فكرة تحديد النسل . وذلك لأن كثرة عدد المسلمين أقلق مضاجع الكافرين .

ولقد ظن كثير من المسلمين أن الإسلام يبيح تحديد النسل ، لأنه سوف ينشأ قحط على أثر ذلك ، وإذن لا بد من تحديد النسل حتى لا يتعرض الناس إلى هذا القحط ، وحتى لا يتعرضوا إلى مجاعة لا قبل لهم باحتمالها !..

ومن العجب أن الكافرين يُزينون للمسلمين تحديد النسل ، ثم يحرصون - فيما بينهم - على الإكثار من النسل ؛ ليزداد عددهم ، ويقلّ عدد المسلمين .

والإسلام الذى ندين به يبين أن الله تبارك وتعالى هو الذى قد حدد النسل بقدرته وعلمه وحكمته !.. وجعل الأنثى تنجب أولاداً من سن الخامسة عشر تقريبا إلى سن الخمسين على الأكثر .

وهو الذى يرزق من شاء ما شاء ، ويمنع من شاء ما شاء ، حسب ما قدّر هو ، لا ما يقدّر الناس .

وجعل للحمل مدة ، وللرضاعة مدة ، لينتظم النسل !..

ولقد اقتضت حكمته أن يرزقنا أطفالا مختلفين فى المواهب ..
فإذا حددنا النسل ، تعرضنا للأضرار الآتية :

١ — قد يُرزق الإنسان طفلا ويكون قصير الأجل .

٢ — » » » » » قليل الرزق .

٣ — » » » » » قاصر العقل .

٤ — » » » » » فاجراً أو كافرا

٥ — » » » » » غير بار بوالديه .

٦ — » » » » » سيئ الخلق .

٧ — » » » » » غير نافع للناس .

وعند ذلك يضيّع الإنسان حكمة الله تعالى فى تعدد النسل ، ويضيع الثواب فى تربية أولاد كثيرين ، إذ أن كثرة الأولاد يتبعها كثرة الثواب ، فثواب من ربّى عشرة أولاد أكثر من ثواب من ربى خمسة أولاد ، وثواب من ربى خمسة أولاد أكثر من ثواب من ربى ولدين ، وهكذا ، فالأجر على قدر المشقة .

هذا ، والإسلام قد يمنع الحمل عن المرأة فى حالة مرضها وعدم قدرتها على الحمل والوضع والرضاعة والتربية إذا تحقق ذلك ، كما يوافق الإسلام على تأخير النسل فى فترة الإرضاع ، لحين تربية الطفل الرضيع حتى يتم الرضاعة .

أما تحديد النسل بسبب خوف الفقر ، فهذا ليس من الإسلام فى شىء ، والله تعالى وضع فى باطن الأرض كنوزاً لا يعلمها إلا هو ! . . وهو قادر على أن يخرج من هذه الكنوز ما يشاء ، ومتى شاء ! . . وقادر على أن يخرج من الأرض من النباتات والأقوات أضعاف ما تخرجه فى أى وقت من الأوقات . فعلينا بالبحث والتنقيب ، وهو عمل يحتاج إلى نسل ، لا إلى تحديد نسل !..

ونحن نرى فدانا من الأرض أثمر خمسة أرادب من القمح مثلا فى سنة من السنين ، ثم أثمر عشرة أرادب فى سنة أخرى .

فمن أين أتت هذه الزيادة ؟ إنها أتت من رحمة الله ومن فضل الله .

قال تعالى فى سورة الأعراف :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَلَٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

والحقيقة أن الفقر ليس سببه كثرة الأولاد ، بل سببه الانحراف عن الإسلام : كشرب الدخان ، وشرب الحشيش ، وأكل الأفيون ، وشرب الخمور ، والزنا ، والقتل ، والسرقة ، والبخل ، والكسل ، ومنع الزكاة ، وترك الصلاة ، وترك الجهاد فى سبيل الله !..

هذا ، وإن الله تعالى كثيراً ما يُوسع على الكبار ، بسبب وجود الصغار فى رعاية الكبار !..

قال تعالى فى الحديث القدسى الشريف :

[مَهْلًا عِبَادَ اللهِ ، مَهْلًا عِبَادَ ٱللهِ :
لَوْلَا شُيُوخٌ رُكَّعٌ ، وَأَطْفَالٌ رُضَّعٌ ،
وَبَهَائِمُ فِي ٱلْفَلَاةِ رُتَّعٌ ،
لَصَبَبْتُ عَلَيْكُمُ الْعَذَابَ صَبًّا !..] .

ولو كان الإسلام يخاف الفقر من كثرة النسل ، لما أباح للمسلم أن يتزوج أربعة نساء عند اللزوم .

ونسأل الله أن يرد المسلمين إلى حقيقة الإسلام . إنه سميع مجيب .

٧٢ ــ واجبنا نحو الله والوالدين وصلة الأرحام والأصدقاء

الواجب الأول الشكر لله جل وعلا : لأنه صاحب الفضل على الإنسان ، إذ هو المنعم الحقيقىّ بجميع النعم .

والواجب الثانى : الشكر للوالدين ، لأن فضلهما على الإنسان بعد فضل الله تعالى .

قال تعالى فى سورة لقمان :

﴿ ... أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ، إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ .

وإذا تعارضت طاعة الله مع طاعة الوالدين ، قُدِّمت طاعة الله على طاعة الوالدين .

قال تعالى فى سورة لقمان :

﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا . وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ، واتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ . ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

هذا ، ونعمة الوالدين وأفضالهما نعمة من نعم الله تعالى على الإنسان .

ولقد أمر الله تعالى بطاعة الوالدين فى المعروف والإحسان إليهما ، لفضلهما على أولادهما .

قال تعالى فى سورة الإسراء :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ . وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ، وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ، وَاخْفِضْ لَهُمَا

جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ . وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ .

وإذا عاش الولد عيشةً أعلى من عيشة أبيه وأمه فى مأكله ومشربه وملبسه ومسكنه ، ولم يُفض عليهما مما أفاء الله عليه فقد أصبح من الظالمين لهما ؛ إذ الواجب على الولد أنه كلما وسّع الله عليه فى الرزق ، وسع عليهما فى الإنفاق .

هذا ، وطاعة الوالدين واجبة فى المعروف فحسب .. فإن أمرا بمعصية ، وجب على الولد مخالفتهما بالحسنى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ . فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ » .

وشكر الله على نعمه فرض من فروض الإسلام ، وشكر الوالدين على أفضالهما فرض آخر من فروض الإسلام .

أما باقى الأقارب ، كالأولاد والإخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات وبقية الأقارب ، فلهم واجب الصلة على الإنسان .. فصلة الأقارب فرض آخر من فروض الإسلام ، فلقد أمر الله الإنسان أن يَصِل أقاربه وأن يساعدهم ، ولو بجزء من ماله

إذا كان غنيا وهم فقراء ، وإن كانوا أغنياء أن يتودد إليهم بالمحبة والحنان بالزيارات ، وأن يحرص على ذلك ولو قطعوه ! . .

ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم :

« لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ ، وَلَـكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِى إِذَا انْقَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« صِلْ مَنْ قَطَعَكَ ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ ،
وَقُـلِ الْحَقَّ ، وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ » .

ولقد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له ما يفيد :

(يَا رَسُولَ اللهِ : إِنِّي أَصِـلُ أَرْحَامِي وَيَقْطَعُونَنِي ..
وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ ، وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ) .

فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ :
« فَـكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَـلَّ » .

وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بمداومة الصـلة والإحسان إليهم ، حرصا على رضا الله .

هذا ، وواجب المصاهرة كواجب القرابة فى الصـلة والتراحم .

أما الأصدقاء الصالحون ، فحبهم حب لله ، وصلتهم عبادة لله !..

ومن الذين يُظللهم الله فى ظل العرش يوم القيامة : رجــلان تحابا فى الله ! . .

ولقد ورد في الحـديث القدسى الذى رواه مسلم أن الله تعـالى يقول يوم القيامة :

[أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي ؟

الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي : يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي !

ولقد ورد فى الحديث الشريف الذى رواه مسلم رضي الله عنه :

(أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ..

فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا .

فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟

قَالَ : أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ .

قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ؟

قَالَ : لَا ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ :

بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ) .

٧٣ ــ العصمة للملائكة والأنبياء

خلق الله الملائكة ، وعصمهم وحفظهم من الكفر والمعصية .

قال تعالى فى سورة التحريم :

﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ .

وخلق الرسل ، وعصمهم أيضا من الكفر والمعصية .

قال الله تعالى فى سورة الأحزاب :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ .

ولذلك فإن جميع الملائكة والرسل سعداء ومن أهل الجنة ، أما البشر العاديون فليسوا من المعصومين .

قال تعالى فى سورة النور :

﴿ وَتُوبُوا إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كُلُّ ٱبْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا ، لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَأَتَى بِقَوْمٍ غَيْرِكُمْ : يُذْنِبُونَ وَيَتُوبُونَ ، فَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ » .

والخطأ الجسيم ليس فى الوقوع فى الذنوب ، إنمــا الخطأ الجسيم فى الإصرار على الذنوب ، أو عدم التوبة من الذنوب ، قبل لقـاء علام الغيوب !..

والإنسان يولد على الفطرة ، ثم يتغير فى الـكبر ، فقلب الطفل طاهر خالٍ من كل صفة ذميمة . ولذلك إذا مات الطفل ، خرج من الدنيا إلى الجنة ، ولو كان أبوه كافراً أو فاجراً .

وقد سئل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أطفال المشركين ، فقال :

« أَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ خَدَمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ » .

فإذا كبر الطفل تغير قلبه ، وتطرق إليه الـكفر أو الفسوق .. وقد يصبح المؤمن ـ فى الـكبر ـ كافراً !.. وقد يصبح فاسقاً متصفاً بالصفات الذميمة ، كالخيانة والبخـل والـكذب والطمع والغش والمـكر السيئ ، والحقد والحسد والغفلة والاستهتار والـكسل .

ولا سبيل للإنسان العاصى أو الـكافر للخلاص من المعصية أو الـكفر إلا بالتــوبة الصادقة ، فإن تاب قبل الموت غُفر الله له .

وإن لم يتب : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

والكفر لا يُغفر للإنسان بعد الموت عليه ، والعياذ بالله ، لقول الله تعالى فى سورة النساء : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ .

أما غير الكفر ، فقد يغفر بدون توبة بعد الموت ، لعلم الله بحال الإنسان ، وهذا قليل ، وقد يغفر للمؤمن بعد العذاب ، وهذا هو الغالب فى معظم الأحيان .

يقول الله تعالى فى سورة الأنبياء :

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ .

٧٤ ـ الذنوب

الذنوب قسمان : صغائر وكبائر ، فالصغائر مثل لمس الأجنبية بقصد وبشهوة ، أو النظر إليها بشهوة ، أو القبلة ، أو الاستماع إلى الغناء أو لغو الكلام أو الضحك القليل .

أما الكبائر : فقد عدها الإمام ابن حجر بسبع وستين وأربعمائة كبيرة .

وهذه الكبائر كالكفر ، والقتل ، والزنا ، واللواط ، والسرقة ، وشرب الخمور ، وشهادة الزور ، والغيبة ، والنميمة ، وجميع أنواع الظلم ، كالسب ، واللعن ، والضرب ، وغير ذلك .

والصغائر بالنسبة للكبائر كحبة رمل بالنسبة لجبل شامخ ، وتغفر الصغائر بالوضوء ، والصلاة ، وصلاة الجمعة ، وصيام رمضان ، والحج ، والعمرة ، واجتناب الكبائر .

أما الكبائر فلا يكفرها صلاة ولا صوم ولا حج ولا عمرة ، ولا يكفرها إلا طريق واحد ، هو : (التوبة الصادقة) .

٧٥ ـ العذاب

إذا فعل الإنسان الذنب حصل من فعل هذا الذنب أضرار قد أحاط الله بمقدارها . وعند ذلك يقدر الله لمن فعل هذا الذنب عذابا مساويا لهذه الأضرار !.. وبناء على علم الله وحكمة الله يقسم العذاب على مواطن العذاب ، ومواطن العذاب أربعة ، هى :

(١) عذاب الدنيا (٢) عذاب القبر

(٣) عذاب القيامة (٤) عذاب النار

فإذا كانت الذنوب قليلة ، يعذب الإنسان بسببها فى الدنيا فحسب .

وفي ذلك يقول الله تعالى فى الحديث القدسى :

[وَعِزَّتِي وَجَلَالِي : لَا أُخْرِجُ أَحَدًا مِنَ الدُّنْيَا

وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَرْحَمَهُ إِلَّا شَدَّدْتُ عَلَيْهِ فِي دُنْيَاهُ :

ضِيقًا فِي رِزْقِهِ ، وَمَرَضًا فِي جَسَدِهِ ! . .

فَإِنْ بَقِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ شَدَّدْتُ عَلَيْهِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ ،

حَتَّى يَلْقَانِي وَلَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ] .

وإذا كانت الذنوب متوسطة ، يعذّب الإنسان بسببها فى الدنيا وفى القبر ، وقد يعذب يوم القيامة .

وإذا كان الذنب عظيما يعذب الإنسان بسببه فى الدنيا ، وفى القبر وفى يوم القيامة ، وفى نار جهنم ، ثم يخرج من نار جهنم ، إن كان من الموحّدين ، ويخلد فى نار جهنم فلا يخرج منها أبداً إن كان من الكافرين .

قال تعالى فى سورة طه :

﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ .

وأسأل الله تعالى أن يتوب علينا قبل الموت توبة صادقة ، وأن يحفظنا من عذاب الدنيا والآخرة . آمين .

٧٦ — التوبة الصادقة

التوبة الصادقة هى الطريق الوحيـد للخلاص من كبائر الذنوب ، وهى تـكفر الصغائر والـكبائر .

قال تعالى فى سورة طه :

﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ .

وللتوبة الصادقة خمس مراحل هى :

(١) الندم على فعل الذنب .

(٢) الاستغفار .

(٣) نية مؤكدة ألا يرجع إلى الذنب الذى يتوب منه .

(٤) رد الحقوق التى فى ذمته لأصحابها إذا استطاع ردها فى الحال ، وذلك كحق المال .. أو العزم على ردها فى المستقبل إذا لم يستطع ردها فى الحال ، أو استسماح أصحاب الحقوق .

أما الحقوق التى لا يمكن ردها ، كحق القتل أو الزنا : فإن الإنسان يستر على نفسه فيها ، ويسأل الله تعالى أن يرضِّىَ عنه أصحاب الحقوق يوم القيامة .

وقد ورد فى الحديث الشريف أنه إذا صحت التوبة ، فإن الله تعالى يرضّى صاحب الحق عن المذنب يوم القيامة .

(٥) البعد عن الذنب الذى يتوب منه الإنسان إلى نهاية الأجل .

ومن هذا نرى أن الاستغفار جزء من التوبة ، وهو مردود على صاحبه إذا لم تتم شروط التوبة الصادقة .

وصدق من قال من العلماء : (استغفارنا يحتاج إلى استغفار) .

ولذلك قد يرفع الإنسان يديه طول عمره مستغفرًا الله ، فلا يغفر الله له !.. وقد يرفع يديه مرة واحدة طالبًا المغفرة ، فيغفر الله له !..

والسبب فى ذلك أن التوبة الكاملة الصادقة مقبولة عند الله تعالى ، والتوبة الناقصة مردودة على صاحبها من الله تبارك وتعالى .

٧٧ — الحج لا يكفر الكبائر

إلا إذا قرن بتوبة صادقة

الحج والعمرة لا يكفران الكبائر إلا إذا قُرِنا بتوبة صادقة صحيحة . وعند ذلك تكفر التوبة الصادقة المقرونة بالحج الذنوب الكبائر ، إذ أن الحديث يقول :

« الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيسَ لَهُ جَزاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ » .

قِيلَ : وَما الْحَجُّ الْمَبْرُورُ يا رَسُولَ اللهِ ؟

قالَ : « هُوَ الَّذِى لَيْسَ بَعْدَهُ مَعْصِيَةٌ » .

ويقول الحديث أيضًا : « مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ ، رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » .

فقول الحديث (الحج المبرور) أى المقرون بتوبة صادقة .

أما الحج الذى لم يقرن بتوبة صادقة : فإنه لا يكفر الكبائر ، بل يكفر الصغائر .

ولو كان الحج هو الطريق الوحيد للخلاص من الذنوب : كبيرها وصغيرها ، لكان الفقير مظلوماً لا يستطيع الحج لفقره ، وهو عند ذلك لا يستطيع الخلاص من الذنوب لعدم تأديته الحج .

ولكن العادل الكريم ، الرؤوف الرحيم ، قد عدل بين الناس جميعا ، فجعل الخلاص من الذنوب جميعها هو التوبة الصادقة ، يلجأ الإنسان إليها بحج أو بغير حج فيغفر الله له . فلله الحمد على عدله ، ولله الشكر على فضله ، وهو المستعان على الخلاص من معاصى الدنيا ، وهو المستعان على النجاة من عذاب الآخرة !..

٧٨ — كيف يستطيع الإنسان

أن يتوب من الذنوب

لا يستطيع الإنسان أن يتوب من ذنوبه إلا إذا غير حاله من حال إلى حال آخر ، وذلك يستدعى مراعاة ما يأتى :

(١) أن يعدل بين الدنيا والدين ، فلا يعطى الدنيا وقتا مخصصا للعبادة ، كوقت الصلاة أو وقت تحصيل العلم المفروض .

(٢) أن يقبل على القرآن الكريم إقبالا جديًا : قراءة وسماعاً وفهماً وتنفيذا للأحكام الواردة فيه .

(٣) أن يقبل على هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم إقبالا جديا : قراءة وسماعاً وفهماً وتنفيذا للأحكام الواردة فيه .

(٤) أن يحرص على مجالسة العلماء بقدر المستطاع ، لأن العلماء ورثة الأنبياء .

(٥) أن يتردد على المساجد باستمرار لتأدية الصلاة المفروضة إلا لعذر شرعى .

(٦) أن يحرص على مجالسة الصالحين ، ويتردد على أماكن العبادات ، ويبتعد عن أماكن الفتنة والمفتونين .

وعند ذلك يكون - إن شاء الله - من التائبين .

ومن هذا يتضح أن الإنسان لايستطيع أن يتوب وهو كسول هارب من أماكن العبادة ، أو متكالب على الدنيا ، أو مقبل على الدنيا ، أو مقبل على أماكن اللهو واللعب والكسل .

٧٩ – ذكر الله تعالى

ذكر الله تعالى واجب على كل مسلم ومسلمة : اعترافاً بفضله على الإنسان — قال تعالى فى سورة البقرة :

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ —

وجاء فى الحديث القدسى :

[... وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي —
وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْ مَلَإِهِ —
وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا —
وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا —
وَمَنْ مَشَى إِلَيَّ هَرْوَلْتُ إليه] .

ومن ذلك يتضح أن ذكر الله تعالى يعود نفعه على الإنسان ، فمن ذكر الله نزلت عليه رحمة الله وعنايته ، ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه وطرده من رحمته .

ويجب أن يتكرر الذكر ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلا ، لتتكرر الرحمة من الله ، وتتكرر المغفرة من الله .

قال تعالى فى سورة الأحزاب :

﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ : أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

هذا — والذكر أربعة أنواع، وهى مرتبة على حسب الأفضلية كما يأتى :

(١) تلاوة القرآن الكريم ، أو الاستماع إليه .

(٢) الصلاة .

(٣) مجالس العلم .

(٤) الذكر العادى : كالحمد والشكر والاستغفار والتسبيح والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فتلاوة القرآن أفضل أنواع الذكر، لأن الحرف الواحد من القرآن ثوابه فى التلاوة عشر حسنات، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والصلاة تلى تلاوة القرآن فى الأفضلية ؛ لأن الحرف الواحد من القرآن فى الصلاة : ثوابه مائة حسنة .

ومجالس العلم : الساعة فيها أفضل من عبادة ستين سنة ، وقيل سبعين سنة .

والنوع الرابع من الذكر : الأذكار المعهودة للناس .

ويجب على المسلم والمسلمة أن يصل نفسه ولسانه بهذه الأنواع الأربعة فى خلال اليوم والليلة ، ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

ومن الذكر المهم الواجب على الإنسان أن يبدأ به كل عمل : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ، وأن يختم كل عمل بـ : ﴿ الحمد لله ﴾ ، وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كُلُّ عَمَلٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ، فَهُوَ أَقْطَعُ ، أَوْ أَجْذَمُ » .

ولقد جعل الذكر أنواعاً : ترويحاً للنفس ، ورياضة للقلب . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال :

« مَثَلُ الذَّاكِرِ وَغَيْرِ الذَّاكِرِ كَمَثَلِ الْحَيِّ وَالمَيِّتِ » .

٨٠ ــ الإسلام يحرم الاختلاف

الإسلام معناه الانقياد لطريق السلامة ، وطريق السلامة هو طريق كتاب الله ، وهدى رسول الله .. وهو طريق واحد لا يتعدد .

لذلك فليس في الإسلام اختلاف ، بل هو منهج واحد نابع من كتاب الله ، وهدى رسول الله . وليس فى الإسلام أحزاب ، بل هو حزب واحد يسير مع كتاب الله وهدى رسول الله .

ولقد حذر الله من الحزبية بقوله تبارك وتعالى فى سورة آل عمران :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ .

وقال تعالى فى هذه السورة أيضاً :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

وقال تعالى فى سورة المجادلة :

﴿ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ . أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

ولقد كان المسلمون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدين على هذا .

ولما انصرف المسلمون عن الدين وفتنوا بالدنيا ، بدأ علماء الإسلام ـ حيث خاف العلماء والمجاهدون من جهل الناس وعدم إدراكهم للدين الصحيح ـ فاجتهدوا وبحثوا فى كتاب الله وهدى رسول الله ، واستخدموا الإجماع والقياس الصحيح فيما لم يرد فيه نص صريح من كتاب وسنة صحيحة .

وعند ذلك ظهرت المذاهب فى الإسلام ، وأهمها المذاهب الأربعة : المالكية ، والشافعية ، والحنفية ، والحنابلة .

ولما نشأت المذاهب وبحثها المسلمون وجدوا فيها مسائل قد اتفق عليها الأئمة ، ومسائل قد اختلفوا فيها . فالمسائل التى قد اتفق فيها الأئمة وأجمعوا كلهم عليها صحيحة لا شك فيها .

أما المسائل التى اختلفوا فيها ، فمنهم من أصاب الحق فيها ، ويصبح الأخذ برأيه ، وله على اجتهاده عشر حسنات .

ومنهم من لم يصب الحق فيها ، ويصح الأخذ به ، لأنه بنى على اجتهاد وقياس ، وله على اجتهاده حسنة واحدة .

وهذا من يسر الإسلام وسماحته !.. وعلى هذا فالأخذ بعمل المذاهب فى العبادات والمعاملات صحيح - وإن كان فيها بعض الخلافات - لأن كل ما بنى على اجتهاد يصح الأخذ به .

ومن قال إن منشئ المذهب لا يخطئ فقد أخطأ ، لأن العصمة للرسل وحسب ، وكل ما عدا الرسل من العلماء والمجتهدين يصيبون ويخطئون ..

كتاب : « الدين الخالص » الذى ألفه فضيلة الإمام الراحل الشيخ « محمود خطاب » من علماء الأزهر ومؤسس الجمعيات الشرعية بالجمهورية - عليه رضوان الله تبارك وتعالى - فيه ما يريح الضمير ويرشد الحائرين ، إذ يعتبر هذا الكتاب خلاصة للمذاهب الأربعة .

وكذا كتاب « فقه السنة » لفضيلة الإمام الشيخ « سيد سابق » ففيه من البيان ما يشفى القلوب ويسدد الخطا ، ورضى الله تعالى على من ألفه وقدمه هدية للناس .

٨١ - الاحتضار

الاحتضار هو الموت الذى ينتقل الإنسان به من دار الدنيا إلى الدار الآخرة .

وقد أوصى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر المحتضر فيه الصالحون ، ليثبتوا المحتضر بالشهادتين وقراءة سورة يس ، ويدعوا له بالرحمة والمغفرة .

كما أوصي رسول الله أن يوجّه المحتضر إلى القبلة ، وأن يطرد من جواره الكافرون والفاسقون والفاسقات ، وأن تظهر بجانبه الروائح الطيبة ، كما يجب أن يحذر فيه الإنسان السخط على قضاء الله ، وأن يتحلى فيه المسلمون بالصبر على البلاء والرضا بالقضاء .

٨٢ - بشرى الاحتضار

بشرى الاحتضار قال عنها القرآن الكريم فى سورة فصلت :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ، نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾ .

وهذه البشرى تنزل من الله تعالى قُبَيْلَ نزع الروح بقليل .
وهى عبارة عن ملائكة من ملائكة الرحمة ، تنزل على المحتضرين وتقول لهم (لَا تَخَافُوا) أى لا تخافوا من القبر ووحشته وظلمته فهو روضة من رياض الجنة ، وتقول لهم (وَلَا تَحْزَنُوا) أى ولا تحزنوا على ماخلفتم فى الدنيا من أهل وولد ، فإن الله سوف يتولاهم بعد موتكم نظير صلاحكم . وتقول لهم أيضاً :

﴿ وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ .

أى وأبشروا أنكم من أهل الجنة ، وقد حفظكم الله من النار .. ثم تقول لهم :

﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ .

أى نحن - ملائكةَ الرحمن الرحيم - سوف نتولى أهلكم بعد رحيلكم ، نظير إخلاصكم وصبركم ، وسوف نتولاكم فى الدار الآخرة ، مثبتين ومبشرين ومحافظين .. ثم تقول لهم :

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ .

أى ولكم فى الآخرة ما تشتهى أنفسكم ، ولكم فيها ماتطلبون .
وآخر كلمة فى البشرى :

﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ .

أى إن القبر الذى سوف تنزلون إليه بعد خروج الروح: مكان مغفرة ورحمة من الله الرؤوف الرحيم.

عند ذلك تهون مصيبة الموت على المحتضر ، ويتمنى لقاء الله تعالى .

وفى هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ .

وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ » .

قالَت السَّيِّدَةُ عائِشَةُ رَضِىَ اللهُ عَنْها :

إنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ يا رَسُولَ اللهِ .

فقال لها النبىُّ صلى اللهُ عليه وسلم ما يُفِيدُ : « يا عائِشَةُ لَيْسَ الأَمْرُ كَذٰلِكِ . وَلٰكِنَّ الْمُؤْمِنَ إذا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوانِ اللهِ وَرَحْمَتِه . فَلَيْسَ شَىْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمامَهُ ؛ فَأَحَبَّ لِقاءَ اللهِ وَأَحَبَّ اللهُ لِقاءَهُ .

وَإِنَّ الْكافِرَ إذا حَضَرَهُ الْمَوْتُ ، بُشِّرَ بِسَخَطِ اللهِ وَعَذابِهِ ؛ فَلَيْسَ شَىْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمامَهُ ؛ فَكَرِهَ لِقاءَ اللهِ ، وَكَرِهَ اللهُ لِقاءَهُ » .

٨٣ ـ الخاتمة

الخاتمة هى : نتيجة الإنسان النهائية عند الموت وعند الخروج من دار الدنيا إلى الدار الآخرة . والناس عند الموت أحوالهم كالآتى :

(١) مؤمن كامل الإيمان ، ناج فى قبره وفى يوم القيامة وسابق إلى الجنة مع الأنبياء والصالحين .

(٢) مؤمن ناقص الإيمان بسبب الأعمال والإهمال ، معذب فى قبره ، وقد يعذب يوم القيامة ، وقد ويعذب فى نار جهنم بقدر عمله .

(٣) كافر محروم من الإيمان معذب فى قبره وفى يوم القيامة ، ومخلد فى نار جهنم ، فلا يخرج منها أبدا .

وقد جاء ذلك فى سورة الواقعة . قال تبارك وتعالى :

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ . فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ . وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ . وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ . إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ . فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ .

٨٤ - الأرواح عند الاحتضار وبعده

الأرواح عند الاحتضار ينادى عليها من الملائكة ، فتقول الملائكة لروح المؤمن ما يفيد : أيتها الروح الطيبة : كنت تسكنين فى الجسد الطيب . اُخرجى إلى رحمة من الله ورضوان .

وتقول لروح الكافر : أيتها الروح الخبيثة : كنت تسكنين فى الجسد الخبيث ، اُخرجى إلى سخط من الله وعذاب .

ثم تُنَشِّط الملائكة أرواح المؤمنين برفق ورحمة ، وتنزع أرواح الكافرين بقسوة وغلظة ، كما قال الله تعالى فى سورة النازعات :

﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا . وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴾ .

وبعد نزع هذه الأرواح : إن كان صاحبها من المؤمنين تُكَفَّنُ بكفنٍ من أكفانِ الجنةِ ، وَيُوضَعُ عليها حَنوطٌ (أى رائحة طيبة) من روائحَ الجنة ، وتصعد بها الملائكةُ إلى السماوات ، فتشمُّ رائحتَها الملائكةُ وتقول : (لِمَنْ هذه الروح ؟) فتقول الملائكةُ الملازمةُ للروحِ : (هذه روحُ فلانةٍ بنتِ فلان ، أو روحُ فلانِ بنِ فلانٍ) .

وتُفتح أبوابُ السماء لهذه الروحِ ، وتتلقاها ملائكةُ كلِّ سماء مرحبين ومهنئينَ وقائلينَ : (سلامٌ عليك أيتُها الروحُ وعلى جسدٍ كنتِ تسكنينَ فيه - فلقدْ علمنا أن صاحبكِ كان من المؤمنين ، وأنه كان من المصلينَ ، وأنه كان من الصائمين ، وأنه كان من

الصابرين ، وأنه كان من الراضين بقضاء ربِّ العالمينَ . سلامٌ عليكِ أيتُها الروح وعلى جسدٍ كنتِ تسكنينَ فيه) .

ثم تطوف الملائكة بالروح فى الجنة ، وتنزل بها إلى الأرض ، قبل دفن الميت ، حتى تلازم الروح الجسد قبل الرحيل من بيته إلى قبره .

أما روح الكافر : فينادى عليها عند النزع بقول الملائكة لها : (أيتُها الروحُ الخبيثةُ . كنتِ تسكنينَ في الجسدِ الخبيثِ . اُخرجى إلى سخطٍ من الله وعذاب) . ثم تنزعها الملائكة بغلظة وشدة ، وتضعها فى مُسوحٍ خشنةٍ خبيثةِ الرائحة ، وتصعد بها إلى أبواب السماوات ، فــلا تفتح لها أبواب السماوات ؛ بل ترد إلى الأرض ثانية ، لأنها ليست من أهل الجنة ، بل من أهل النار .

فاذا وضع الميت فى قبره تُعاد فيه الروح ليسأل عقب الدفن مباشرة : عن الله أولا ، وعن الإسلام ثانياً ، وعن محمد صلى الله عليه وسلم ثالثاً .

والنعيم فى القبر أو العذاب : للجسد والروح . والأرواح فى قبضة الله تعالى بعد نزعها ، فلا يمكن لإنسان أن يستحضرها ، ولا أن يسيطر عليها . ومن ادعى أنه يستحضر الأرواح أو يسيطر عليهـا ، فهو من الكذابين ومن الدجالين . وهـذه الأرواح أما كنها مختلفة ؛ فأرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تسرح بها في الجنـة ، وهناك أرواح فى عليين ، وأرواح أخرى محبوسة فى القبر للعـذاب ، إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى .

هـذا ، والأرواح سر من أسرار الله ، وخَلق من خَلق الله ، خلقها الله تعالى قبـل خلق الأجسام ، وجعلها فى خزائن إلى حين يشاء الله إخراجها إلى أجسادها ، وتخرج الأرواح من مخازنهـا إلى بطن الأم فى نهاية الشهر الرابع من الحمل .

وإذا كان الإنسان يؤمن بهذه الأرواح ـ وهو لا يراها ـ بل يشـاهد آثارها : فأولى به أن يؤمن بالله ـ تبارك وتعـالى ـ قبل أن يراه ؛ إذ أنه يشاهد صنعه وآثاره .

٨٥ — إدراك الميت المشيعين

وردت أخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تفيد أن الميت حينما يكون محمولا إلى المقابر يشعر بالمشيعين ، فإن كان صالحا مقبولا ينادى ويقول : (قدمونى قدمونى) وإن كان عاصيا غير مقبول ينادى ويقول : (يا ويلى . أين تذهبون بى ؟) .

وقد ورد فى صحيح البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« إذا وُضِعَتِ الجِنازَةُ وَاحْتَمَلَها الرِّجالُ عَلَى أَعْناقِهِمْ : فَإِنْ كانَتْ صَالِحَةً قالَتْ : قَدِّمُونِى قَدِّمُونِى ، وَإِنْ كانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قالَتْ : يَا وَيْلِى ! أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِى ؟ .. فَيَسْمَعُ صَوْتَها كُلُّ شَيْءٍ إلَّا الإِنْسَانَ ، وَلَوْ سَمِعَهُ لَصَعِقَ » .

٨٦ ــ سؤال الملكين للميت عقب الدفن

ثبت فى السنة أن الإنسان تُعادُ فيه الروح عقب الدفن مباشرة ، ويُسأل أربعة من الأسئلة :

السؤال الأول عن الله تعالى : (مَن ربُّك ؟) .

والسؤال الثانى عن دين الله : (ما دِينُكَ ؟) .

والسؤال الثالث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(مَا هٰذَا الرَّجُلُ الَّذِى بُعِثَ فِيكُمْ ؟) .

والسؤال الرابع :

(مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ بِهٰذا ؟) .

فأما المؤمن الصالح فيثبته الله تعالى عقب السؤال مباشرة ، فإذا سئل : من ربك ؟ أجاب على الفور وقال : ربى الله . وإذا سئل : ما دينك ؟ أجاب وقال : دينى الإسلام . وإذا سئل : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ أجاب وقال : أشهد أنه رسول الله .

عند ذلك يثبت الله الصالحين .

وأما العاصى من المؤمنين فلا يثبته الله على الفور كما يثبت الصالحين ، ولكن قيل : إنه يجيب الملائكة بعد مرور سبعة أيام من العذاب .

وأما الكافر فلا يستطيع أن يجيب الملائكة إلا بعد أربعين يوماً من العذاب ، ويرد على الملائكة قائلا : (لا أدرى ـ لا أدرى ـ لا أدرى) . فتضربه الملائكة عند سؤال الملكين ، كما ضربته عند نزع الروح وتقول له (لا دَرَيْتَ وَلا تَلَيْتَ) .

ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الْجِن وَالإِنْس .

وفى ذلك يقول الله تعالى فى سورة محمد ـ صلى الله عليه وسلم :

﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾ .

ويقول تعالى فى سورة الأنعام : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ ٱلْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ ، أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ ، الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ، وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ .

ويقول الله تعالى فى سورة إبراهيم : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، وَيُضِلُّ ٱللَّهُ الظَّالِمِينَ ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ .

وقال عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه البخاري رضى الله عنه ـ ما معناه :

« الْعَبْدُ إِذا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ ـ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ ـ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هٰذَا الرَّجُلِ « مُحَمَّدٍ » .

فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ . فَيُقالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ !.. فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا ..

قالَ : وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوِ الْكَافِرُ ، فَيُقالُ لَهُ :

مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هٰذا الرَّجُلِ ؟

فَيَقُولُ : لا أَدْرِى ، كُنْتُ أَقُولُ مِثْلَ ما يَقُولُ الناسُ .

فَيُقالُ لَهُ : لَا دَرَيْتَ وَلا تَلَيْتَ !..

وَيُضْرَبُ بِمِطْرَاقٍ من حَدِيدٍ .

فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ » .

٨٧ – تلقين الميت بعد الدفن فى القبر

تلقين الميت بعد الدفن فى القبر – كما يفعل بعض الناس فى هذا الزمان – لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أن التلقين لا يكون سبباً فى تثبيت الميت عند السؤال ، إذ أن تثبيت الميت عند السؤال سببه الإيمان والعمل الصالح ، كما ورد فى القرآن الكريم وهدى النبى الأمين – وإنما الذى فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الدفن مباشرة أنه دعا للميت وأمر أصحابه أن يدعوا للميت ، فقال :

« أُدْعُوا لِأَخِيكُمْ ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ » .

فأصبح تلقين الميت لا سند له من كتاب الله ، ولا من هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما السنة : الدعاء للميت بعد الدفن مباشرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ ، انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ :
صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ،
أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » . .

٨٨ ـ مخاطبة القبر للميت بعد الدفن

روى الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مصلاه ، فرأى أناساً يكثرون الكلام ، فقال :

« أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ أَكْثَرْتُمْ مِنْ ذِكْرِ هاذمِ اللَّذَّاتِ (يعنى الموت) لَشَغَلَكُمْ عَمَّا أَرَى مِنْكُمْ ، فَإِنَّهُ لا يَأْتِ عَلَى الْقَبْرِ يَوْمٌ إِلَّا تَكَلَّمَ فِيهِ ، فَيَقُولُ : أَنا بَيْتُ الْغُرْبَةِ ، أَنا بَيْتُ الْوِحْدَةِ ، أَنا بَيْتُ الْعَذابِ ، أَنا بَيْتُ الدُّودِ .

فَإِذا دُفِنَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ ، قالَ لَهُ : مَرْحَبًا وأَهْلًا ! أَمَا إِنَّكَ إِنْ كُنْتَ لَأَحَبَّ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي ! فَإِذا آوَيْتُكَ الْيَوْمَ وَصِرْتَ إِلَيَّ ، فَسَتَرَى صُنْعِي مَعَكَ .. فَيَتَّسِعُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ ، وَيُفْتَحُ لَهُ بابٌ إِلَى الْجَنَّةِ .

وَإِذا دُفِنَ الْعَبْدُ الْكافِرُ ، قالَ لَهُ الْقَبْرُ : لا مَرْحَبًا ولا أَهْلًا ، أَمَا إِنَّكَ إِنْ كُنْتَ لَأَبْغَضَ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي ! فَإِذا آوَيْتُكَ الْيَوْمَ وَصِرْتَ إِلَيَّ ، فَسَتَرَى صُنْعِي بِكَ . قالَ : فَيَلْتَئِمُ عَلَيْهِ حَتَّى تَلْتَقِيَ وَتَخْتَلِفَ أَضْلاعُهُ » .

وقالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « الْقَبْرُ إِمَّا رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ » .

٨٩ — حال المذنبين فى القبر

الإنسان الكافر أو العاصى يعذب فى قبره بقدر ذنبه إذا لم يتب توبة صادقة من الذنوب قبل الموت .

وقد أثبت القرآن الكريم ، وهدى النبي الأمين ، عذاب القبر للكافرين والمذنبين الذين لم يتوبوا قبل الموت .

قال الله تعالى فى القرآن الكريم عن قوم نوح :

﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَارًا ﴾ .

وقال تعالى عن آل فرعون فى سورة غافر :

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ، وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْقَبْرُ إِمَّا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ » .

هذا ، والفاء فى قوله تعالى : ﴿ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾ .

تفيد الترتيب مع التعقيب . أى أن الإحراق لهم كان عقب الإغراق ، وفى سورة غافر : العرض على النار فى الغدو والعشى لآل فرعون كان فى القبر قبل يوم القيامة ، بدليل قوله تعالى بعد العرض على النار : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ .

٩٠ ـ العمل المعنوى يتحول فى القبر

بقدرة الله إلى جسد بشرى

ورد فى السنة أن العمل المعنوى يتحول فى القبر إلى جسد بشرى ، ويدخل على الميت فى قبره مؤنسا له إلى يوم القيامة ، إذا كان الميت من الصالحين أو الصالحات .

فيقول الميت لمن دخل عليه فى صورة بشرية :

(مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الَّذِى يَأْتِى بِالْخَيْرِ .

فَيَقُولُ لَهُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ ،

جِئْتُ مُؤْنِسًا لَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) .

وفى ذلك يقول الله تعالى فى سورة الكهف :

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك ما يفيد :

« يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثٌ :

يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُه .

فَيَرْجِعُ اثْنَانِ ، وَيَبْقَى وَاحِدٌ .

يَرْجِعُ أَهْلُه وَمَالُهُ ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ » .

٩١ — النعيم والعذاب للجسد والروح

حيث إن الذى تعب فى الطاعة والعبادة الجسد والروح ، وحيث إن الذى تمتع بالمعصية الجسد والروح ، فكان من عدل الله تعالى أنه قدر أن النعيم للجسد والروح ، وأن العذاب للجسد والروح .

والروح التى استأثر الله تعالى بعلمها تشبه عند دخولها فى الأجساد لباسا أبيض ، إذا حافظ الإنسان عليه بقى أبيض نظيفاً ، وإذا جلس به فى القاذورات تغير حاله من حال إلى حال .

فالمعصية تدنس الجسد والروح ، والطاعة تطهر الجسد والروح ، لهذا كان النعيم والعذاب للجسد والروح .

٩٢ — من مات قامت قيامته الصغرى وابتدأ نعيمه أو عذابه

لقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن من مات قامت قيامته الصغرى ، وابتدأ نعيمه أو عذابه .

وفى ذلك يقول الله تعالى فى سورة الواقعة عن حال الميت بعد الوفاة مباشرة :

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ . فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ . وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ

الْيَمِينِ . وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ . فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ . وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ . إِنَّ هٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ . فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ .

والرَّوْح هنا – هو الراحة من عناء الدنيا وشواغلها .

٩٣ – علامات الساعة

الساعة معناها يوم القيامة . وسميت بذلك لأنها تبتدئ عند آخر ساعة من ساعات الدنيا .

والساعة لها علامات كبرى وعلامات صغرى واردة فى كتاب الله وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فالعلامات الصغرى للساعة أهمها :

(١) قلة العلم وانتشار الجهل بين الناس .

(٢) كثرة النساء مع قلة الرجال .

(٣) تولية الحكام الظلمة ، وإبعاد الصالحين من المسلمين عن الحكم بين الناس .

(٤) قلة الحياء فى النساء .

(٥) قلة الأمانة وكثرة الخيانة وقلة الرحمة وكثرة القسوة .

(٦) ارتفاع البنيان .

(٧) نطق الحديد كالراديو والتليفزيون .

(٨) ظهور المخترعات الحديثة كالطائرات والقطارات والسيارات والتليفونات .

(٩) انتشار الزنا والربا وشرب الخمر .

(١٠) تعطيل العمل بكتاب الله ، وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وتعطيل تنفيذ حدود الله .

هذا ـ وقد ظهرت كل هذه العلامات فى الدنيا الآن .

أما العلامات الكبرى للساعة ، فهى :

(١) ظهور يأجوج ومأجوج ، وهم قوم من الكفار يغيرون على ديار المسلمين ويسلبون خيرات البلاد .

(٢) ظهور المسيخ الدجال ـ وهو رجل أعور يحاول أن يفتن المسلمين عن دينهم ، ويدعى الألوهية ـ والعياذ بالله .

(٣) نزول سيدنا عيسى من السماء ، ليجدد العمل بشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويعمل بالقرآن والسنة المطهرة ، ويقتل المسيخ الدجال على باب لدٍّ .

(٤) ظهور الدابة من الأرض لتخبر بإيمان المؤمن وكفر الكافر .

(٥) طلوع الشمس من جهة الغرب فى الصباح ، بعد أن كانت تطلع من جهة الشرق ! وهذه العلامة هى آخر العلامات الكبرى ، وعندها يغلق باب التوبة ، فلا يقبل الله إيمان الكافر ولا توبة العاصي وهذه العلامات متوالية ، فإذا ابتدأ ظهورها توالى ظهور بقية العلامات .

والغافلون من الناس يعيشون فى الأرض ، ولا يشعرون بشىء من هذه العلامات ..

قال تعالى فى سورة القمر :

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ .

وقال تعالى فى سورة الأنعام : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ . يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا . قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ .

وقال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف :

« بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ » .

(وَأَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ : السَّبَابَةِ وَالَّتِي تَلِيهَا) .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْـتَرَبَ ،
فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ كَهَاتَيْنِ » .
(وَحَلَّقَ بِإِصْبَعَيْهِ : السَّبَّابَةِ وَالَّتِي تَلِيهَا) .

ثم يعقب هذه العلامات الكبرى نفخة الصعق ، وعندها يموت جميع الأحياء إلا من شاء الله .

٩٤ ــ نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة البعث

لقد ثبت فى السنة أن الله تعالى يأمر إسرافيل قبيل يوم القيامة أن ينفخ النفخة الأولى ، وهى : نفخة الفزع ، وعندها يفزع كل من فى السماوات والأرض إلا من شاء الله ـ كما قال الله تعالى فى سورة النمل :

﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ـ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ .

ثم بعد ذلك يأمر الله هذا الملك ، فينفخ النفخة الثانية ، وهى : نفخة الصعق . وعندها يموت كل من فى السماوات وكل من فى الأرض إلا من شاء الله ، كما قال الله تعالى فى سورة الزمر :

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ .

أى مات كل من فى السماوات والأرض من الملائكة، وكل من فى الأرض من الإنسان والحيوان والطيور وبقية الأحياء إلا من استثناهم الله .

﴿ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ .

أى إلا من شاء الله بقاءه .

ثم بعد ذلك يأمر الله هذا الملك بعد أربعين سنة أن ينفخ نفخة ثالثة ، وهى نفخة البعث ، فتحيا المخلوقات ، كما قال الله تعالى فى سورة الزمر :

﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ .

ومن هذا يثبت أن الملك ينفخ ثلاث مرات فى بوق خلقه الله ، وهذه النفخات هى :

(١) نفخة الفزع .

(٢) نفخة الصعق .

(٣) نفخة الإحياء من الموت ، وهى نفخة البعث .

٩٥ – يوم القيــــامة

يوم القيامة له أسماء كثيرة ، منها : اليوم الآخر ، ويوم الدين ، ويوم الحساب ، والقارعة ، والحاقة ، والغاشـــية ، والساعة ، ويوم الآزفة ، ويوم الفزع الأكبر ، والواقعـــة ، ويوم الحشر ، وغير ذلك .

ويبتدئ هذا اليوم بطلوع الشمس من مغربها ، ثم يليها نفخة الصعق ، وعنـــدها يموت الأحياء جميعاً إلا من شـــاء الله .. وينتهى عند دخول أهل الجنة : الجنة ، وأهل النـــار : النـــار .

ومواطن يوم القيامة مرتبة كما يأتى :

(١) طلوع الشمس من مغربها .

(٢) نفخة الصعق .

(٣) نفخة البعث .

(٤) الحشر .

(٥) توزيع الـكتب .

(٦) الحساب .

(٧) الميزان .

(٨) الصراط .

(٩) القصاص .

(١٠) النـــار .

(١١) الجنـــة .

٩٦ ــ معنى البعث فى الإسلام

البعث فى الإسلام معناه أن يقوم الإنسان من الموت يوم القيامة بجسده وروحه كما يقوم من نومه ، وقد أثبته القرآن الكريم فى قول الله تعالى فى سورة الحج :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ . فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ .

كما بينه الله تعالى فى كثير من آيات القرآن الكريم .

هذا ـ والإيمان بالبعث وبجميع مواطن يوم القيامة فرض من فروض الإيمان ، وإنكاره أو الشك فيه نوع من أنواع الكفر .

٩٧ ـ أدلة يوم القيامة والبعث

لما كان إنكار يوم القيامة نوعا من أنواع الكفر، وكان الشك في ذلك نوعا آخر من أنواع الكفر، وكان الشك فى البعث نوعا ثالثا من أنواع الكفر، فقد أوجد الله تعالى أدلة فى كتابه، وهدى رسول الله، تدل على أن يوم القيامة حق، وأن البعث حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله سوف يبعث من فى القبور.

وهذه الأدلة هى :

أولا : إذا كان يُحدد وقت للفصل بين الناس، فالله تعالى أولى بذلك. فقد حدد يوم القيامة للفصل بين الناس، قال تعالى فى سورة التين :

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ .

ثانيا : الخلقة الأولى ـ فقد خلق الله تعالى آدم أبا البشر من التراب، وصوّره من الطين، ووضعه على باب الجنة أربعين سنة. تمر عليه الملائكة ـ حيث خلقوا قبل آدم ـ ولا يدرون ما يراد به!
ويمر عليه أبو الجن ـ وقد خلق قبل آدم ـ ولا يدرى ما يراد به!

ولما أراد الله تعالى ظهور آدم من العدم إلى الوجود، نادى على طينته بكلمة القدرة وقال : [كن آدم كما يريد ربك بإذن ربك]، وعند ذلك تحول الطين إلى عظام ولحم ودم ومواهب بأمر الله العلىّ الواهب، وأصبح آدم موجودا بعد أن كان معدوماً، وحيًّا بعد أن لم يكن!

وربّ قائل يقول : إنه لم ينظر بعينيه خلقة آدم ، وهو لذلك لا يصدق بها !.. فيسوق إليه الإسلام دليلا آخر هو خلقة الطفل من النطفة ـ وكما أن التراب عدم فكذلك النطفة أيضاً عدم .

قال تعالى فى سورة ياسين :

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ . وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ . قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ .

ثالثا : النوم واليقظة ؛ فالنوم وفاة واليقظة بعث . وقد سلط الله علينا النوم واليقظة ليكون ذلك دليلا للناس على البعث ..

قال تعالى فى سورة الزمر :

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا . فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى . إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

فما سلط الله علينا النوم ليضيّع إنتاجنا ، ولا ليضيع متاعنا ؛ وإنما سلّطَ الله علينا النوم واليقظة ليكون ذلك عظة لمن يتعظ وعبرة لمن يعتبر .

رابعا : الحياة الدنيا المرئية ، إذ أنها تدل على الحياة الأخرى الخفية ، أى إن الحياة الدنيوية تدل على الحياة الأخروية . فالسماء وما فيها ، والأرض وما عليها كل ذلك يدل على حياة غير هذه الحياة ، فالدنيا مزرعة للآخرة .

ولقد نادانا الله تعالى إلى هذا الدليل الرابع بقوله تعالى فى سورة النبأ :

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾ .

(وهو يوم القيامة وما فيه من مواطن) .. ثم قال الله تعالى :

﴿ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾ .

ثم نادى على المنكرين والشاكين فى يوم القيامة بقوله :

﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا . وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا . وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا . وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا . وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا . وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا . وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا . وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا . وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا . وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا . إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا . يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ .

وبهذه الأدلة يثبت يوم القيامة ويثبت البعث .

قال تعالى فى سورة القيامة :

﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ .
أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ،
بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ .

٩٨ — الحشر

الحشر جمع الناس فى مكان واحد فى الكرة الأرضية . وقد قيل إن مكانه بلاد الشام ، وذلك بعد البعث من الموت ، وعنده يقسم الله الناس إلى قسمين : فالصالحون والأطفال يظلهم الله فى ظل العرش ، والكافرون والفاسقون يحشرهم الله فى حرارة الشمس . والشمس وقتئذ تدنو من رؤوس الناس ، ويشتد الزحام ، ويشتد الكرب ، وتحيط الملائكة بالناس للحساب ، فلا يستطيع إنسان أن يتحول من مكانه إلا بأمر الله .

قال تعالى فى سورة الفجر :

﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ .

وقد ورد أن مدة الحشر سبعين سنة من سنى الدنيا ، وقيل مائة سنة . والناس محشورون بين أيدى الملائكة ، ويستشفعون بالأنبياء ..

فيذهبون إلى آدم ، ويطلبون منه الشفاعة ، ويقولون له :
يا رسول الله . ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟
فيقول آدم عليه السلام : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ! نفسى ! نفسى ! نفسى ! اذهبوا إلى غيرى . اذهبوا إلى نوح عليه السلام ..

فيذهبون إلى نوح .. فيعتذر عن الشفاعة ، ويحيلهم إلى إبراهيم عليه السلام .. فيذهبون إلى إبراهيم الخليل عليه السلام ، فيعتذر عن الشفاعة ، ويحيلهم إلى موسى عليه السلام .. فيذهبون إلى موسى ويطلبون منه الشفاعة ؛ فيعتذر عن الشفاعة ، ويحيلهم إلى عيسى عليه السلام .. فيذهبون إلى عيسى عليه السلام ؛ فيعتذر عن الشفاعة ، ويحيلهم إلى سيدنا : محمد صلى الله عليه وسلم .. فيذهبون إلى سيدنا : محمد عليه الصلاة والسلام .. فيقول : أنا لها ، أنا لها . . ثم يخر ساجداً بين يدى الله تعالى طالباً الشفاعة . فينادَى من قِبَلِ الله تعالى :

[يَا مُحَمَّد : اِشْفَعْ تُشَفَّعْ ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ] .

فيشفع خاتم الأنبياء فى الناس المحشورين ، فتقبل منه الشفاعة !.. ويأمر الله تبارك وتعالى بفصل القضاء ؛ فيُقضى بين الناس ، وذلك بعد مضى المدة المقدرة للحشر ، وبعد أن اشتد الكرب والزحام و البكاء ، وبعد أن اشتد العرق وسال من أجسام الناس : فمن الناس من يبلغ العرق إلى كعبيه !.. ومنهم من يبلغ العرق إلى ركبتيه !.. ومنهم من يبلغ

العرق إلى سرته !.. ومنهم من يبلغ العرق إلى رقبته !.. ومنهم من يكاد أن يغرق فى العرق !.. ومنهم من ينزل الدمع دماً من عينيه !..

وهذه الشفاعة التى شفعها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هى الشفاعة العظمى التى خَصّ الله بها نبيّه محمدا صلى الله عليه وسلم !..

فنسأل الله تعالى أن يجيرنا بالحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم من هذا الموقف .. إنه سميع الدعاء .

٩٩ ــ نشر صحف الأعمال على الناس

بعد صرف الناس من الحشر ، تسوق الملائكة الناس إلى الحساب : منهم الراكب ، ومنهم الماشى ، ومنهم المسحوب على وجهه !..

فإذا وصلوا إلى مكان الحساب ، تطايرت صحف الأعمال إلى أصحابها : فالمؤمنون يأخذون كتبهم من الأمام بأيمانهم !..

والكافرون يأخذون كتبهم من وراء ظهورهم بشمالهم !..

وبقدرة الله تعالى وتوفيقه للناس يقرأ كلّ إنسان كتابه الذى كتبته الملائكة عليه فى أيام حياته . كما قال الله تعالى فى سورة الإسراء :

﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ
وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا .
اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ .

فإذا اطلع الناس على كتب الأعمال ، وجدوا أنها قد أحصيت فيها كل الأعمال . وفى ذلك يقول الله تعالى فى سورة الكهف :

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا . وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ .

وقال تعالى فى سورة آل عمران :

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ، وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

١٠٠ — الحساب

هو موطن من مواطن يوم القيامة ، ويبتدئ بعد توزيع كتب الأعمال على الناس . .

والمحاسِب هو الله جل وعلا ، يحاسب الناس على أعمالهم . .

ومن الناس من لا يحاسَب ، بل يدخل الجنة بغير حساب !..

ومنهم من يحاسب حساباً يسيرا !..

ومنهم من يحاسب حسابا عسيرا !..

وقد قال الله عن ذلك فى سورة الانشقاق :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ . فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا . وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا . وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ . فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا . وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴾ .

روى الشيخان وغيرهما مرفوعاً عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« أَوَّلُ ما يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّماءِ » .

وفى رواية : « أَوَّلُ ما يُحاسَبُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ الصَّلاةُ ، وأَوَّلُ ما يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِي الدِّماءِ » .

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ نُوقِشَ الْحِسابَ هَلَكَ » .

وقال صلى الله عليه وسلم عن الحساب :

« ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ .

لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمانٌ .

فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلا يَرَى إِلَّا ما قَدَّمَ .

وَيَنْظُرُ عَنْ شِمالِهِ فَلا يَرَى إِلَّا ما قَدَّمَ .

وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقاءَ وَجْهِهِ .

فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ . فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » .

١٠١ - الميزان

الله تعالى هو الذى يعلم مقدار الأعمال من خير وشر ، لأنه يعلم مقدار نفع الأعمال الصالحة ، ومقدار ضرر الأعمال الطالحة . وقد خلق الله ميزانا لوزن أعمال الناس . والراجح أنه من النور ، وله كفتان ، فتوضع الحسنات فى كفة الميزان ، والسيئات فى الكفة الأخرى : فمن رجحت حسناته على سيئاته أدخله الله الجنة .. ومن رجحت سيئاته على حسناته أدخله الله النار .. ومن استوت حسناته وسيئاته فأمره إلى الله : إن شاء عذبه ، وإن شاء رحمه .

قال الله تعالى فى سورة الأنبياء :

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا . وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ .

فإذا فعل الإنسان خيرا ، فعلّم علماً نافعاً مثلا ، وضع الله مقدار النفع فى كفة العدل ، ووضع مقدار الجزاء فى الكفة الأخرى !.. وإذا فعل الإنسان شراً - فاعتدى على عرض الغير بالزنا مثلا - نظر الله إلى ما أصاب زوج المرأة وأولادها وأهلها ونفسها من الأضرار ، وألقاه فى « وادى الزناة » فى نار جهنم .

نسأل الله أن يلطف بنا ، إنه على كل شىء قدير .

١٠٢ – الصراط

الصراط جسر ممدود على متن جهنم ، وتحته نار جهنم بعيدة بعدا شاسعا عن الصراط ، بحيث لو سقط حجر من على الصراط ، لوصل أرض النار بعد سبعين سنة ، كما ورد فى الحديث الشريف ا.. ولذلك سماها الله تعالى : ﴿ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ فى سورة التين .

والملائكة سوف تسوق الناس جميعاً للمرور على الصراط ، كما قال الله تعالى فى سورة مريم :

﴿ وَإِن مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا . كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا . ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ .

وعلى الصراط كلاليب وخطاطيف تخطف الظالمين بأعمالهم من على الصراط إلى قعر جهنم .

وعلى الصراط سبعة قناطر خاصة بأهم فروض الإسلام ، وهى :

(١) القنطرة الأولى : للإسلام والشهادتين . فمن كان مؤمنا اجتازها ، ومن كان كافرا سقط فى النار .

(٢) القنطرة الثانية : الصلاة ، فمن أدى الصلاة بحالة ترضى الله اجتازها ، ومن ترك الصلاة أو تهاون فيها سقط فى نار جهنم .

(٣) القنطرة الثالثة : الصيام . فمن صام الصيام المفروض اجتازها . ومن تهاون فى الصيام سقط فى النار .

(٤) القنطرة الرابعـة : الزكاة . فمن أدى الزكاة المفروضـة اجتازها ، ومن تهاون فى الزكاة وقع فى نار جهنم .

(٥) القنطرة الخامسة : الحج . فمن أدى الحج اجتازها ، ومن ترك الحج تهاونا واستهتارا وقع فى النار .

(٦) القنطرة السادسة : الطهارة القلبية والمـائية ، فمن حرص على طهارة القلب وكان يحب الخير للناس ويسعى إليه ، وحافظ على الوضوء والغسل والطهارة المائية اجتازها .

ومن تهاون فى ذلك وقع فى النار .

(٧) القنطرة السـابعة : الوالدان . فمن أدى واجب الوالدين اجتازها . ومن ظلم أباه أو أمه وقع فى النار .

وهذا الحاجز هو أصعب الحواجز كلهـا !..

وأمام القنطرة السابعة يقتص الله تعالى للمظلومين من الظالمين .

وبعد القنطرة السابعة جنة النعيم ، التى أعدها الله للمتقين .

١٠٣ — القصاص وشهوده

إذا خلص الناس من قنطرة الصراط ، حُبسوا عند آخر قنطرة .. ولا يرجع إلى النار أحد من هؤلاء ، لأنهم عبروا الصراط المضروب على ظهر جهنم التى يسقط فيها المجرمون . وهذه القنطرة الثانية بين الجنة والنار ، ويكون عندها القصاص بين الناس ؛ فلقد روى البخارى — رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ ،

فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ..

فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ فِي مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا ..

حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا ، أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ .

فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى

فِي الْجَنَّةِ بِمَنْزِلِهِ ، مِنْ مَنْزِلِهِ الَّذِي كَانَ فِي دَارِ الدُّنْيَا ! »

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث فى القصاص . قال فيه مايفيد :

« أَتَدْرُونَ : مَنِ الْمُفْلِسُ ؟ »

قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ .

فَقَالَ : « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ! . . وَيَأْتِي وَقَدْ ضَرَبَ هٰذَا ، وَشَتَمَ هٰذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هٰذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هٰذَا .

فَيَأْخُذُ هٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ . فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ ، أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ وَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ » .

هذا ـ وشهود الإثبات على المذنبين خمسة ، وهم :

الشاهد الأول : أعضاء الجسم — فيشهد على الناس ألسنتهم وأيديهم ، وأرجلهم . قال تعالى فى سورة النور :

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

ويشهد على الناس أيضاً أسماعهم وأبصارهم وجلودهم ..

قال الله تعالى فى سورة فصلت :

﴿ حَتَّى إِذَا مَاجَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

فيكون شهود الجسم على الإنسان ستة : ثلاثة فى الوجه ، هى : اللسان ، والسمع ، والبصر .

وثلاثة أخرى فى بقية الجسم ، وهى : اليدان ، والرجلان ، والجلد .

الشاهد الثانى : الملائكة .. قال تعالى فى سورة الانفطار :

﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ . وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

الشاهد الثالث : كتاب العمل .. قال تعالى فى سورة الكهف :

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ، وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا . وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ، وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ .

الشاهد الرابع : الأرض التى فعل عليها الذنب ..

قال تعالى فى سورة الزلزلة :

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا . وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا . وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا . يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا . بِأَنَّ رَبَّكَ

أَوْحَى لَهَا . يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ .
فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ .
وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

وقال تعالى :

﴿ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴾
﴿ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾
﴿ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ﴾
﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

ومن العجيب أن الكافر والفاجر ينكران ما فعلا بين يدى الله تعالى يوم القيامة . فيقول الكفار ما ورد فى سورة الأنعام وهو قوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ، ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا : أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ؟ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا : وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ .
انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ
وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ .

وعند ذلك يؤتى بالشهود فيثبت الكفر والفجور على الكافر الفاجر - ويُساق بعد ذلك إلى القصاص ، وإلى نار جهنم ، والعياذ بالله رب العالمين .

١٠٤ — النار وأدلتها والخلود فيها

النار دار أعدها الله تعالى للكفار والفجار ، وسماها : دار الجحيم ، فقال تعالى فى سورة الانفطار :

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ . يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ . وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴾ .

ثم إن النبى صلى الله عليه - وآله - وسلم رآها بعينيه ، وقال عند ذلك فى الحديث الشريف ما يفيد :

« مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ - فِي مَقَامِي هٰذا - حَتَّى الْجَنَّة وَالنَّار » .

ولقد جعل الله تعالى نار الدنيا تذكرة لنار جهنم ، وقال عن ذلك فى سورة الواقعة :

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . أَأَنْتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ . نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ . فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ .

وقال النبى صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فيما رواه الترمذى :

« نَارُكُمْ هٰذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ لِكُلِّ جُزْءٍ مِنْهَا حَرُّهَا » .

ولقد ورد أن الله اقتطع نار الدنيا من نار جهنم ، ووضع نار الدنيا بين الأحجار والمعادن والأشجار ، ونشرها فى الجو على شبه كهرباء ، وربط مصالح الناس بها ، فلا يستغنى عن نار الدنيا كبير ولا صغير ولا غنى ولا فقير ، بل إن جميع الناس محتاجون إلى نار الدنيا لتجهيز طعامهم وشرابهم وقضاء كثير من مصالحهم الدنيوية !..

والملائكة والحيوانات والطيور مخلوقات حية ، ولا تحتاج إلى نار الدنيا ، بخلاف الإنسان فهو محتاج إلى نار الدنيا .

والسبب في ذلك أن النار لم تخلق للملائكة ولا للحيوانات ولا للطيور ، ولكنها خلقت للجن والإنس . فربط الله مصالح الناس بهذه النار ، ليعرف الإنسان خطرها وفظاعتها ، فيحذرها ويلجأ إلى الإيمان والعمل الصالح لينجو من خطرها .

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نار جهنم ما يفيد :

« شَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ :

يَا رَبِّ ! أَكَلَ بَعْضِى بَعْضًا !..

فَأَذِنَ لَهَا بِأَنْفَاسٍ فِى الصَّيْفِ وَأَنْفَاسٍ فِى الشِّتَاءِ ،

فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ حَرِّ الصَّيْفِ مِنْ أَنْفَاسِ جَهَنَّمَ !
وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ زَمْهَرِيرِ الشِّتَاءِ ،
أَنْفَاسٌ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ! » .

وقال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم :

« نَارُكُمْ هٰذِهِ الَّتِي يُوقِدُ بَنُو آدَمَ
جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ! »

قيل : يا رسول الله . إن كانت لكافية ؟

قال : « فَإِنَّهَا فَضَلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا ،
كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا » .

[رواه الإمام أحمد والترمذى والبيهقى عن أبى هريرة]

وقال تعالى فى سورة فاطر :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا . كَذٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ . وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا : رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ . أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ، فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ .

١٠٥ – إخراج الموحدين من النار

هذه النار التى أعدها الله تعالى للكفار والفجار :

الكافر والفاجر مخلد فيها ، لا يخرج منها أبدا ! . .

والعصاة من المؤمنين يخرجون منها بعد قضاء ما عليهم فيها ، جزاء ما ارتكبوه من الذنوب وعدم التوبة منها .

ولقد ورد أن نصيب المؤمن العاصى من نار جهنم من ساعة إلى سبعة آلاف سنة من سنى الدنيا ، ثم يخرج منها بشفاعة سيدنا رسول الله ﷺ ، ما دام قد مات على التوحيد .

وإذا عاش الإنسان غافلا معرضا عن كتاب الله ، وهدى رسول الله ، فسوف يعيش فى الدنيا وينتقل للدار الآخرة ، بعد أن يستخدم هذه النار آناء الليل وأطراف النهار . . ثم يترك الدنيا قبل أن يعرف حكمة وجود النار فى الدنيا ، وقبل أن يعرف حكمة ربط مصالح الإنسان بها !..

وبسبب هذا يتضح ضرورة إقبال الإنسان على نور العقل ونور الرسالة .

أسأل الله تعالى أن يحفظ المسلمين من شر نار الدنيا ونار الآخرة ، إنه على كل شىء قدير .

١٠٦ ــ الجنة وأدلتها والخلود فيها

الجنة دار أعدها الله تعالى للمتقين ، وقال عنها فى سورة الانفطار :

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ .

روى البخارى أن رسول الله ﷺ قال :

قال الله تعالى :

[أَعْدَدْتُ لِعِبادِي الصَّالِحِينَ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ ،

ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ]

قال أبو هريرة :

اِقْرَءوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ

مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وقال عنها سيد المرسلين :

« فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ :

ما بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ ،

وَما بَعْدَ الدُّنْيا مِنْ دارٍ ،

إِلَّا الْجَنَّةُ أَوِ النَّارُ ! » .

[وهذا الجزء تكملة أو ختام لحديث طويل] ..

هذا ، وسوف يخلد المؤمنون فى الجنة ، ويتمتعون بكل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، فضلا من الله ونعمة .

وسوف يتمتعون فيها برؤية الخالق جل وعلا ، بلا شكل ولا كيف ! . .

قال تعالى فى سورة يونس :

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ .

وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الآية بأن الحسنى هى الجنة ، وأن الزيادة هى رؤية الله تعالى فى الجنة وفى عرصات القيامة للمتقين .

هذا ، وقد رأى النبي ﷺ الجنة ، للحديث القائل :

« ما مِنْ شَىْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ
ـ فِي مَقامِي هٰذا ـ حَتَّى الْجَنَّة وَالنَّار » .

وقوله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ما يفيد :

« إِطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ ، فَإِذا أَكْثَرُ أَهْلِها الْفُقَراء ! . .
وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ ، فإِذا أَكْثَرُ أَهْلِها النِّساء ! . . »

وإذا غفل الإنسان عن طعامه وشرابه الروحى غفل عن كتاب الله وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعاش كما تعيش الأنعام ، وكأنه لا خالق ولا حساب ولا عقاب ولا جنة ولا نار !..

قال تعالى فى سورة عبس :

﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ . أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا .
ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا . فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا . وَعِنَبًا وَقَضْبًا .
وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا . وَحَدَائِقَ غُلْبًا . وَفَاكِهَةً وَأَبًّا .
مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ .

وهـذا تذكير للإنسان بفضل الله عليه ، وكأن الله تعالى يقـول له : هانذا أطعمك وأسقيك ، وأشق لك الأرض ، فكيف تغفل عن عبادتى ؟

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من أهل الجنة ، وأن يحفظنا جميعاً من النار .

١٠٧ ـ فناء الدنيا

لقد ثبت من كتاب الله وهدى رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أن الله تبارك وتعالى سوف يُفني الدنيا بما فيها بعد الزلزلة .

ولقد ثبت فى حديث رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ما يفيد أن الله سوف يصور الدنيا فى صورة امرأة عجوز شمطاء ، وينادى الله تعالى على الناس :

[هل تعرفون هذه ؟]

فيقولون : نعم ـ هذه هى الدنيا .

وعند ذلك يُلقى الله تعالى بها فى نار جهنم !..

فتنادى الدنيا وتقول : (أحبابى وأتباعى !..)

فيقول الله تعالى :

[ألحقوا بها أحبابها وأتباعها] .

ويلقى بالأشقياء بعدها فى نار جهنم !..

ثم يأتى الله تعالى بالموت فى صورة كبش أملح ، ويُذْبَحُ بين الجنة والنار .

وينادى منادٍ من قبل الله تعالى ويقول :

[يا أهل الجنة ، خلود بلا موت !..

ويا أهل النار ، خلود بلا موت !..]

فيزداد أهل الجنة فرحاً على فرحهم !..

ويزداد أهل النار حزناً على حزنهم !..

* * *

هذا : ولا يسعني الآن إلا أن أقول كما قالت الملائكة المطهرون مخاطبين المولى عز وجل :

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا .
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ .

(صدق الله العظيم ، وبلغ رسوله الكريم) .

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد ،

وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ،

ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين ،

والحمد لله رب العالمين .

تم هذا الكتاب فى يوم الجمعة

٢٧ من رجب ١٤٠٢ هـ

٢١ من مايو ١٩٨٢ م

الفهـــرس



طبع من فيض الله تعالى

هدية لروح المرحوم :

كامل كيلانى

غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين



مطبعة الكيلانى

المدير المسئول : رشاد كامل كيلانى

٢٢ شارع عطفة العرة بباب الخلق - القاهرة

ت : ٩١٨٥٩٨